وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وأدابها

الرؤية الحضارية في رواية قطرة الذهب لـ"ميشيل تورنييه"

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

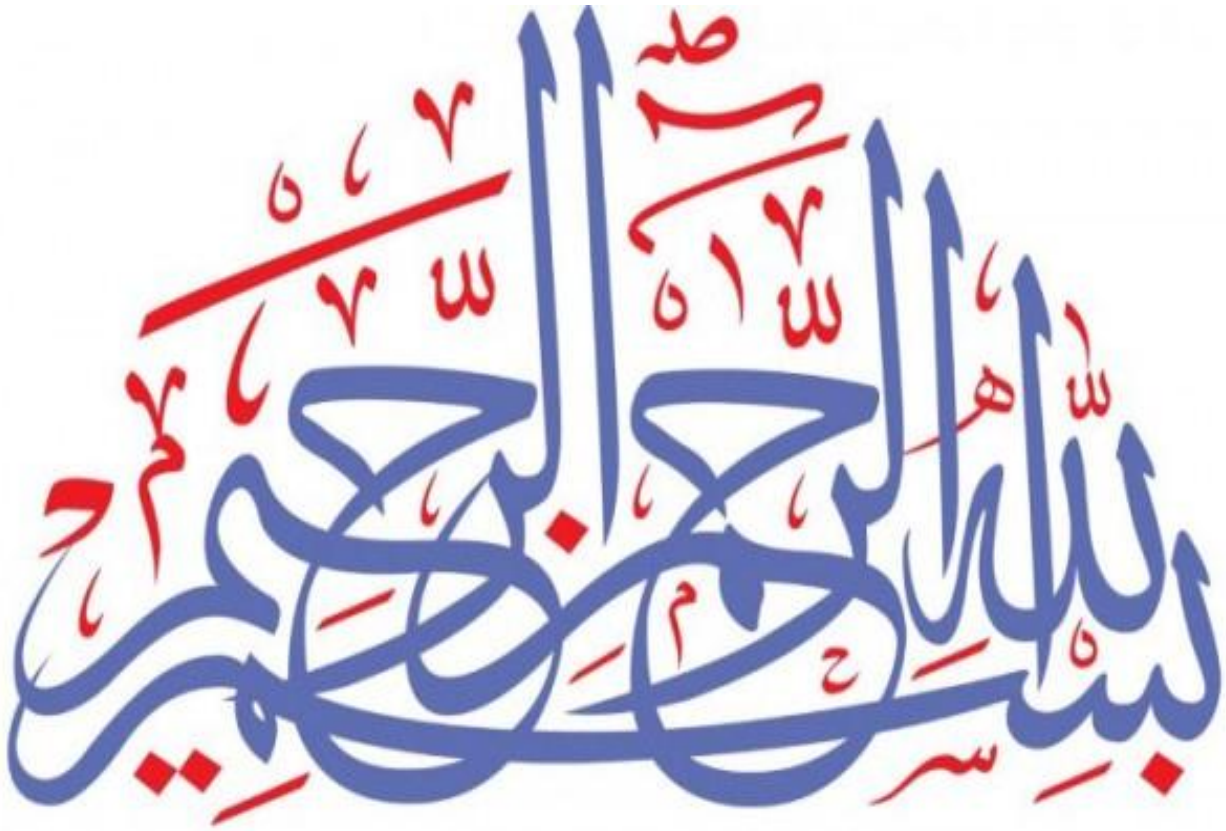
إشراف الدكتورة:

فطيمة بن ربيعي

إعداد الطالبين :

- قانيف لطفي
- شوشات عباس

السنة الجامعية 2020/2019


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

أمـــــــا بـعـــــــد

الحمد لله والشكر لله أولا وأخيرًا لصاحب الفضل والموقف القهار سبحانه وتعالى

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "فطيمة بن ربيعي"على صبرها طوال هذه الفترة الصعبة والتي كان لها الفضل الكبير في مساعدتها لنا لانجاز هذا العمل ،كما نمتن لها على كل نصائحها وإرشاداتها الصائبة والسريرة التي أفادت دربنا وسبيلنا ،كما نشكر كل من أعاننا من قريب أو بعيد وأخص بالذكر صديقي " بورويلة حكيم "

وكل أساتذة اللغة العربية وآدابها

بجـامعـــة المديـــة.



إهـــــداء

بسم الله والصلاة والسلام على صاحب الشفاعة خير خلق الله صلى الله عليه وسلم

إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتي ...أبي الصبور

إلى سيدة القلب والروح أمي فأمي ثم أمي

إلى إخوتي بن يوسف – زكرياء – فاطمة الزهراء

إلى كتكوتة العائلة ومبهجتها فرح الصغيرة

إلى زميلي في العمل لطفي قانيف

إلى كل من نصحني لأدرس اللسان العربي وإلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل

إلى من كانوا لي أوفياء ...أصدقائي جميعًا

أهديكم هذا العمل وأرجو أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى وأن تعم فيه الفائدة وأن يغفر لنا زلاتنا فيه ويكتبنا مع طلبة العلم إتباعًا لسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام

عباس شوشات



إهـــــداء

الحمد والشكر لله أولا وأخيرا على توفيقه لي لإتمام هذا الجهد العلمي المتواضع

إلى نبع الحب والحنان أمي الحنونة أطال الله في عمرها

إلى مصدر عزيمتي وقوتي أبي الغالي حفظه الله ورعاها

إلى رفيقة دربي وزوجتي العالية

إلى كل إخوتي وأخواتي

إلى زوجات إخوتي وأبنائهم

إلى عائلة زوجتي

إلى أستاذتي "فطيمة بن ربيعي" وعائلتها التي أتمنى لها ولعائلتها دوام الصحة والعافية

إلى صديقي في العمل عباس

إلى طلبة العلم والمعرفة

لطفي قانيف

مقـــــدمـــة

مقدمة

يعتبر الصراع الحضاري موضوعا من أهم الموضوعات المتداولة في المحيط الأدبي خاصة بين الشرق والغرب ، فقد اهتم به الكثير من المفكرين والأدباء والنقاد الملمين بالدراسة الشاملة ، وهذا لما يطرحه من قضايا متعلقة بالتواصل الحضاري بين قطبي الشرق والغرب ، ومن بين الأجناس الأدبية التي طرحت موضوع الرؤية الحضارية بين القطبين الشرقي والغربي على غرار الأعمال الأدبية الشرقية نجد الرواية الغربية خاصة الفرنسية حيث طرحت برؤى ووجهات نظر مختلفة ،حيث تمثل هذه الأخيرة (الرواية) جسر عبور وتواصل الأجيال خاصة إذا كانت ترسم لفكرة نزاع الحضارتين (الغربية ،الشرقية) وترسم لدراسة استشراقية صراعية تسلط الضوء على ما يحدث في العالم من فروقات وأحداث ونزاعات بين القطبيين .

تناولت العديد من الدراسات الفكرية والأعمال الأدبية لعلاقة الشرق والغرب فهذين القطبين المتجاورين جغرافيا المتباعدين فكريًا ودينيا وحتى ثقافيًا زاد من حدة النزاع الذي صنعه التاريخ القديم منذ الحروب الاستعمارية وغذته السياسات إلى يومنا هذا، كما نجد له صورة في الآداب العالمية بين ما ينسج من حول الشرق من روحانية وينسب للغرب من مادية وتفوق حضاري .

من هنا تبادر إلى ذهننا البحث عن حقيقة الصراع بين الحضارتين الشرقية والغربية الذي سنعالجه من خلال هذه الدراسة الموسومة ب:

الرؤية الحضارية في رواية قطرة ذهب لمشيل تورنييه

وتهدف الدراسة إلى تبيان الصراع الحضاري بين الشرق والغرب وطبيعة العلاقة بينهما .

كان اختيارنا لهذا الموضوع تلبية لعدة مبررات موضوعية وأخرى ذاتية وهي الرغبة في معرفة سبب الصراع بين القطبين (الشرقي،الغربي)،وكيف تجلت الرؤية الحضارية في رواية (قطرة ذهب) ،وميلنا لإشفاء ظمأنا المعرفي والعلمي.

أما المراجع التي تناولت الموضوع فقد تعددت بتعدد المدونات المدروسة التي سلطت الضوء على الصراع الحضاري ومن هذه الدراسات نذكر :دراسة صامويل هنتنجتون صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي،دراسة ادوارد سعيد الثقافة والامبريالية ،ودراسة أحمد عارف معوقات الحوار بين الشرق والغرب.

وقد قامت هذه الدراسة على إشكالية رئيسة مفادها :

- كيف تجلت الرؤية الحضاري في رواية (قطرة ذهب) ؟

تتفرع عنها جملة من التساؤلات تتجلى في :

- ما هي ابرز القضايا التي عالجها الصراع الحضاري؟
- ما هي الرؤية الحضارية التي طرحتها (قطرة ذهب)؟
- كيف صورت قطرة ذهب الحضارتين الشرقية والغربية؟

ومما أثارته جملة التساؤلات من فرضيات نذكر:

- يهتم الصراع الحضاري بدراسة الحضارتين تاريخيا
- يقدم مشييل تورنييه رؤية حضارية سلمية
- قطرة ذهب خلفية لصراع حضاري

واعتمدنا لمعالجة الإشكالية المطروحة على المنهج البنيوي لأننا بصدد دراسة وتحليل موضوع الصراع الحضاري في متن الرواية التي تحمل أبعادا تعكس عمق الصراع بين القطبين الشرقي والغربي.

وقد اشتمل بحثنا على مقدمة وفصلين وخاتمة وملحق.

حيث تناول الفصل الأول **الرؤية الحضارية في الرواية** فقد أدرجنا تحته مبحثين الأول تضن **الصراع الحضاري عند الشرق والغرب** والثاني تضمن بالتفصيل **قضايا الرواية الحضارية وبعضًا من نماذجها في الرواية الغربية الشرقية** .

وجاء الفصل الثاني (التطبيقي) بعنوان **الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في رواية قطرة الذهب** حيث عرضنا فيه أيضا مبحثين تضمن الأول **صدام الهوية في رواية قطرة الذهب** و**الثاني النموذج الحضاري في الرواية.**

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي صعوبة الإلمام بجزئيات الموضوع نظرًا لندرة الدراسة فيها وأيضا قلة التواصل فيما بيننا بسبب الظرف المعاش نتيجة الجائحة التي ابتلينا بها.

وفي الأخير نحمد الله الذي لا تضيع ودائعه على أن وفقنا ولو بالقليل لإتمام العمل و الذي لا يخلو من النقائص ، وشكر إلى الأستاذة المشرفة " فطيمة بن ربيعي " لما كان لها من نصح وإرشاد لإتمام هذا البحث،والشكر موصول إلى اللجنة المناقشة التي تشرفنا بها ولقراءتها لهذا الجهد المبذول والمتواضع رغبة في الظفر بنصائحها وتوجيهاتها ونشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد على مساهمتهم في إتمام هذا العمل.

الفصل الأول: الرؤية الحضارية في الرواية

المبحث الأول : الصراع الحضاري عند الشرق والغرب

المبحث الثاني : قضايا الرواية الحضارية ونماذج عنها

1- الرؤية الحضارية في الرواية :

تعتبر الحضارة موضوعًا واسعًا لأهميته من وسط اجتماعي لآخر ،وذلك بحسب الظروف التي ينشأ فيها الأفراد ،فهي شيء معنوي يولد معه فقد تأسست حضارات عديدة في العالم إلا أن لكل واحدة طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها سواء كان من جانب اللغة أو العادات والتقاليد << فالحضارة ظاهرة اجتماعية نفسية تحمل في أذهان الأفراد ولا تجد لنفسها تعبير إلا بهم >>[1]، إذا فالحضارة مصطلح متعلق بالفرد أو المجتمع ، فهي تتعلق بمنجزات المجتمعات وما تخلده عبر العصور ، فهي إضافة الجديد الذي ينفع المجتمع،فهي امتداد مستمر لتطور المجتمع وتغيره لتصبح<< ظاهرة مستمرة متطورة تواكب حركة تماشي المجتمع ، هدفها إبراز نوعية في المجتمع فهي استجابة لكل احتياجات المجتمع التي يتمناها >>[2] قفلاً على أنها إنتاج واقعي يتأثر بالمورث المتوفر في مجتمع ما ، أو لا تتأثر فتكون اكتساب تفرضه الظروف العامة المحيطة بالمجتمع ، فهذه الفكرة لازمت بعض الأفراد الدين هاجروا وعايشوا مجتمعات أخرى غير مجتمعاتهم الأهلية التي تمثل بالنسبة لهم عالم آخر مختلف تماما على مجتمعهم سواء في عاداتهم أو تقاليدهم فهدا سيأخذنا إلى اختلافهم الإيديولوجي (فكريًا ودينيًا) والذي صار سببًا في خوضهم هذه الحضارة الجديدة ، فمنهم من يتأثر إيجابا بالحضارة فيعرف منهم ظروفه التي تمكنه من مسايرة الحضارة المفروضة عليه ويأخذ الآخر بذلك تناسيه للقديم وبروز

[1] ينظر فليح كريم الركابي ،الصراع الحضاري في رواية (من يوميات السيد على سعيد) ،كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد ، ع،47، 2006 ص1.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تحديات جديدة في حياته ، ومما سبق ذكره يتبين أن مصطلح الحضارة يتعدى حدود المفهوم الاجتماعي إلى المفهوم الديني والأخلاقي و الثقافي والفلسفي ، والسياسي أيضا إلى علم النفس كل هاته الجوانب يتعاطى معها الباحث ليستشف مفهوم الحضارة وفقا لما يخدم مجال دراسته.

1-1 مفهوم الحضارة لغة :

تعددت المفاهيم التي تدور حول مضمون الحضارة باعتباره مصطلحًا حديثًا ،وهلامي غير ثابت يحتكم إلى العديد من المتغيرات كالأوضاع السياسة والاجتماعية والثقافية حيث اختلفت مفاهيمه من معجم إلى آخر.فنجد قديما مثلا احتكر مفهوم الحضارة على المكان بمعنى <<الحضارة : الإقامة في الحضر ، قال القطامي

ومن تَكُن الحَضَارَةُ أعجبته فأي رجال بادية ترانا

وضد البداوة ، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني و مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي>>[1] فتكون الحضارة بهذا تطور الإنسان ورقيه في شتى المجالات العلمية، الفنية،الأدبية و الاجتماعية المقيمين في المدن المستقرين في مكان دائم ، <<**فالحضر:** كالمدن والقرى والريف،ومن الناس ساكن الحضر ومن لا يصلح للسفر>>[2]

[1] مجموعة مؤلفين ، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2005، ط4، مادة أحضَر، ص171.

[2] المرجع نفسه، ص. 171.

فالحضارة هي تطور الإنسان ورقيه في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية أما الحضر فارتبط بالمكان فالحضارة ضد البادية في نمط عيشها وفكرها.

2-1 مفهوم الحضارة اصطلاحا:

تباين مفهوم الحضارة اصطلاحا بحسب مجال الدراسة الفلسفي،الديني،الاجتماعي،وبحسب تخصص وتوجه المفكرين فكل يحدد ويشكل معالم مفهومها بحسب زاوية نظره .

أ. عند المفكرين العرب :

نظرًا لأهمية مصطلح الحضارة واختلاف مفاهيمه بين المفكرين العرب وحتى عند المفكرين الغرب ، نجد من أهم المفكرين العرب الذين تناولوا مفهوم الحضارة على سبيل المثال لا الحصر :ابن خلدون ،مالك ابن نبي، علي عبود الحمداوي.فكل أعطى لمسته بحسب توجهه وتخصصه.

- **عند ابن خلدون [1]:**

عرف ابن خلدون الحضارة استنادا إلى الأوضاع التاريخية فبحسب نظرته الحضارة هي مؤشر للتدهور والانهيار <<لينطوي الفهم عند ابن خلدون للحضارة على فلسفة خاصة ، لعلها نابعة في معظمها من استقراء الوضع التاريخي والحضاري لمختلف الأمم والشعوب ، إذ نجده يخلص إلى رؤية ترى في طور التحضر إيذانا بالانهيار والتدهور وذلك لأسباب عريُ جُلها إلى الكسل والخمول بعد الدعة والاطمئنان إلى الملك والسلطان ، فقد ورد في المقدمة أن الدولة تمر بثلاث أطوار هي :البداوة والتحضر والتدهور وكل منهما متواصل مع الآخر>>[2]، إن ما جاء به ابن خلدون في رؤيته لمفهوم الحضارة بصفة عامة يعود إلى دراسة معمقة للوضع التاريخي أو تماشيه مع تاريخ الشعوب ، ومنه على حسبه إذا وصلت الشعوب إلى قمة التحضر فسيكون التدهور ملاذها،فغالبا ما غن تصل الشعوب إلى التحضر الذي بذلت فيه مجهودات عديد لتلحق بركبه إلا أنها حينما تلحق ب تفلت زمام أمورها وإصرارها واجتهادها لتسقط في هاوية الانهيار والتدهور ،<< فيربط ابن خلدون مفهوم الحضارة بالإفراط في الترف المؤدي بدوره إلى خفوت بل إلى انطفاء

[1] هو عبد الرحمن بن محمد ابن خَلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي1332 / 1406 ولد في تونس وشب وترعرع فيها وتخرّج من جامعة الزيتونة، وليَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية .ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي، ومن أشهرها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة،https://ar.wikipedia.org/ .

[2]ابن خلدون، المقدمة ، دار الأحياء والتراث العربي ،بيروت ، لبنان، ج1،ص ، 170،171 .

شعلة الانطلاق والعمل الجاد الذي كان سببًا في بناءها ، فان الحضارة من هذا المنطق تُعبر عن نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير>>[1] فالعمل الذي قام على إنشاء حضارة يصبح سببا في انهيار قيم وهمة تلك الشعوب <<لذلك يذهب ابن خلدون إلى الإفراط في الترف وليس بداية يجعل من طور التحضر سببًا في الانهيار إذ يقول: والجيل الثاني تتحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة .....ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة .....وتؤنس منهم .....وتؤنس منهم المهانة والخضوع>>[2] فالحضارة عند ابن خلدون هي التطور والرقي في شتى المجالات الفكرية والعمرانية والاقتصادية ومن ثم الانفلات في شرك الترف الذي يودي بالإنسان إلى المهانة والخضوع لقيود الحضارة من ملبس ومشرب وتفكير .

[1] ابن خلدون، المقدمة ، ص،123 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- **عند مالك بن نبي[1]:**

إذا كان مالك بن نبي يعتبر أبرز مفكر عربي عنيَ بالفكر الحضاري مع ابن خلدون ، فذلك لأن موضوع الحضارة قد شغل حيزًا كبيرًا من حياته الفكرية

<< فالحضارة بالنسبة إليه تمثل مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي البيولوجي حيث ينشأ ويتقوى هيكلها ، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها>>[2] فمفهوم الحضارة مقترنة بالتوازي بين المجال البيولوجي باختلاف أوضاعه والمجال الفكري اللذان يساهمان في بناء حضارة لأمة ما.

كما أنه <<يزاوج ابن نبي بين المادي والمعنوي صوغه لمؤثرات الحضارة في عمومها فان التحضر بالنسبة إليه مرهون بجملة مؤهلات لا تقتصر على الجانب المادي العمران , التكنولوجيا ... فحسب ، ولا على الجانب بمفرده الروحي والأخلاقي إنما هي موازنة بين المؤهلين تساير حركة الفرد في جميع مراحل حياته ، إذ يؤكد ابن نبي في كل حديث له عن شروط الحضارة عن مدى

---

[1] **مالك بن نبي** 1905–1973 الموافق لـ1323 هـ 1393–هـ (من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين .يُعدّ المفكر الجزائري مالك بن نبي أحد رُوّاد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين،ويُمكن اعتباره امتدَادًا لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة ،كانت جهود مالك بن نبي في بناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموما متميزة، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو من حيث المناهج التي اعتمدها في ذلك.وكان بن نبي أول باحث يُحاول أن يُحدّد أبعاد المشكلة، ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح، ويبعد في البحث عن العوارض، وكان كذلك أول من أودع منهجًا مُحدّدا في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع وسنة التاريخ، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة،https://ar.wikipedia.org .

[2] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر ، سوريا، ط،9،ص،41.

جوهرية الجانب الروحي أو الأخلاقي أو المعنوي في تشييد ، فإننا نجده يرى في هذا الجانب الروحي نواة أولى لانطلاق كل حضارة أثبتت وجودها في التاريخ الإنساني أو في تاريخ الحضارات ، إذ لا تختلف في هذا المنطق الحضاري الحضارة المسيحية عن الحضارة الإسلامية أو حتى غيرها ، فهما تنطلقان من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص وتوجه إلى غايات سامية ، فالحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية ، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها ولعله ليس من الغُلُو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية ، وفي البرهمية نواة الحضارة البرهمية ، فالحضارة تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي>>[1]

فالحضارة عند ابن نبي هي منطلق ديني فالدين هو الذي يقوّم الحضارة ويصوبها فالحضارة هي التي تتحكم سلوك الفرد في مجتمعه وترسم صورته الفكرية والثقافية أمام باقي الحضارات

- **علي عبود المحمداوي[2]:**

يركز علي عبود المحمداوي في تعريفه للحضارة على وصلها بالهوية والانتماء لتكون الحضارة، فالحضارة من هذا المنطق أوسع مستويات الهوية

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر ، سوريا، ط،9،ص،41.

[2] باحث وكاتب عراقي، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، جامعة بغداد. وهو الأمين العام للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة. له مؤلفات عديدة، منها: "الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل"، و"خطاب الهويات الحضارية: دراسة مقارنة بين المنجز الغربي والمنجز الإسلامي". أشرف على العديد من الأعمال الفلسفية الجماعية، منها: "فلسفة الدين: سؤال المقدس واليوتوبيا والتعددية الدينية" و" موسوعة الأبحاث الفلسفية: الفلسفة الغربية المعاصرة"،موقع مؤمنون بلا حدود، https://www.mominoun.com/auteur/469.

الانتماء الديني والثقافي والاجتماعي والجغرافي وهي بذلك تمثل الكل الذي يضمن العملية المتفاعلة من العوامل الأربعة السابقة التي تحكم على أساس تشريعي وقانوني تنظيمي تارة باسم الدين وتارة أخرى على أساس القوانين الوضعية الإنسانية ، ومحورها الإنسان والمجتمع ولغة تعاملها مع الآخر هو ثقافتها وتجمعها أرض تمثل الاستقرار الذي هو أساس كل حضارة >>[1] فالحضارة بهذا المعنى تُحيلنا إلى مجموعة من الخصوصيات الدينية الثقافية والاجتماعية والجغرافية التي تميز شعبًا عن آخر أو أمة عن أخرى ،بالإضافة إلى مجموع المقومات التي تميز الفرد من لغة وثقافة ووطن فيها تتشكل الحضارة وتتفرد عن أخرى

ب. عند المفكرين الغربيين:

يعتبر " ألبرت شفايترز"[2] من المفكرين الغربيين الذين عملوا على صياغة معنى إنساني أخلاقي لمفهوم الحضارة ، حيث عبر عنها في كتابه فلسفة

[1] على عبود المحمداوي ،خطاب الهويات الحضارية من الصدام الى التسامح ،دراسة مقارنة بين المنجز الغربي والمنجز الإسلامي ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت ،لبنان ، 2002، ص، 36.

[2] ألبرت شفايترز(1965 – 1875) فيلسوف وطبيب وعالم ديني وموسيقي ألماني، أصله من الألزاس .حصل عام 1952 على جائزة نوبل للسلام لفلسفته عن تقديس الحياة. لكن من أعظم وأشهر أعماله تأسيس وإدارة مستشفى في الغابون، غرب وسط أفريقيا. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org.

الحضارة بأنها التقدم الروحي أو الأخلاقي أو المادي للمجتمع والفرد>>[1] فالحضارة هي التطور الفردي ،الروحي،الأخلاقي،والمادي فكل تغيير يحصل في الفرد من تخلقه بأخلاق حسنة وإبداعه في مختلف المجالات يساهم في بناء حضارته كل هذا يثنى إذا اتسم بصبغة إنسانية وهذا ما رمى إليه "شفايترز" <<ففي نص آخر له نجده يصبغها بصبغة إنسانية حين يقول أن معناها بكل بساطة بذل المجهود بوصفنا كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الإنسانية>>[2] فالحضارة عند شفايترز محتكمة بالتطور الروحي ،الأخلاقي،والمادي المقترن بالنزعة الإنسانية التي تقومه.

وفي محاولة منه لاحتواء المعنى العملي للحضارة داخل التعريف ، حاول "شفايترز" صياغة تعريف آخر يقول فيه <<إنما الحضارة جماع كل تقدم حققه الناس وكل فرد في كل مجال من مجالات العمل من حيث كون هذا التقدم يساعد الكمال الروحي للأفراد>>.[3] فكل تطور وتقدم يحدثه الفرد في مجتمعه يساهم في بناء حضارة بلده والذي يساعد بدوره على تكامل روح الفرد وعطائه.

---

[1] ألبرت شفايترز : فلسفة الحضارة ،تر: عبد الرحمان بدوي ،زكي نجيب محمود،وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،مصر مارس 1963 ص34

[2] ألبرت شفايترز : فلسفة الحضارة ،تر: عبد الرحمان بدوي ،زكي نجيب محمود، ص05.

[3] المرجع نفسه ص 113

يقدم " ويل ديورانت"[1] في كتاب (قصة الحضارة) مفهومًا للحضارة يقوم على جملة شروط مادية ومعنوية هي في جملتها كانت قد شكلت اجتماع المنشغلين في حقل الدراسات الحضارية في رؤيتهم لشروط ضرورة توفر الجانب الأمني الذي يراه سببًا بل دافعًا وباعثًا للعطاء الإبداعي والحضاري ، فالحضارة بالنسبة لهم نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي ، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية،السياسية ، التقاليد الخلقية ، ومتابعة العلوم والفنون ، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه متى ما أمن الإنسان من الخوف تحددت في نفسه دوافع تطلع وعوامل الإبداع والإنشاء.

فالأمن الفردي المقوّم الأساسي لبناء الحضارة التي ترتبط بالتطور الاقتصادي والسياسي.

أما " **صمويل هنتنغتون** "[2] : فنجده يقدم للحضارة مفهومًا ثقافيًا إيديولوجيا في معظمه .إذ يشكل المعطى الثقافي بالنسبة إليه مرآة الحضارة الأولى ، كما يشكل ذات المُعطى الثقافي مكونًا جوهريًا للذات الحضارية إزاء غيرها من

[1] **ويليام جيمس ديورانت** (1885-1981) فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org.

[2] **صامويل فيليبس هنتنجتون** 18 أبريل 1927 -24ديسمبر 2008 هو عالم وسياسي أميركي، وبروفسور في جامعة هارفارد لـ 58 عاماً، ومفكر محافظ. عمل في عدة مجالات فرعية منبثقة من العلوم السياسية والأعمال، تصفه جامعة هارفارد بمعلم جيل من العلماء في مجالات متباينة على نطاق واسع، وأحد أكثر علماء السياسة تأثيراً في النصف الثاني من القرن العشرين موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة،https://ar.wikipedia.org .

الذوات فالحضارة كما يذهب هنتنغتون<<هي أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها ،والتي تميز بين البشر عن الأنواع الأخرى >>[1] يسقط هنتنغتون انحصار الحضارة في الهوية الثقافية لشعب ما لتكون أعلى مراتب الفكر الثقافي البشري الذي يضم كل المقومات اللغة،الدين،الهوية والأنا والآخر الذي يشكل نزعة التمايز بين الشعوب .وبهذا المعنى يعرف هنتغتون الحضارة باعتبارها كيانًا ثقافيًا واسعًا يمثل أوسع مستويات الهوية الثقافية بحيث لا يوجد مستوى أعلى للتحديد و التمايل الهوياتي من مستوى الحضارة.

فالحضارة تجمع ثقافي وفكري ينموا وسط أفراد ليحققوا تطورا بين الحضارات المتباينة حيث تحتكم الحضارة فيه على التطورات الفكرية والثقافية والسياسية لتنشئ حضارة تنفرد بها .

2 - الصراع الحضاري بين الشرق والغرب

إن فكرة الصراع بين الشرق والغرب هي فكرة وليدة عصور قديمة ، لم تأت عبثًا بل كانت نتيجة وقائع وأحداث تاريخية ، هذه الثنائية ولدت صراعات إيديولوجية وفكرية ، نتج عنهما تقسيم ذاتي للعالم إلى ثنائية قطبية متباينة ومتمايزة ،حيث كان الغرب يمثل المركز باعتباره الطرف الأقوى بماديته ،في مقابل الشرق الذي هو في نظر هذا الأخير (الغرب) يمثل الهامش الخاضع بتبعيته إلى الآخر الغربي بسبب روحانيته التي ولدت ضعفه.

[1] صمويل هنتغتون : صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)تر :مالك عبد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع :ليبيا ،ص، 106 .

<< إن التكامل والاختلاف فيما بينهما يشبه ذلك الذي بين الزيت والخل ،لأن مذاق مزاجهما قد يكون لذيذًا لا طعم له فلخط الفاصل بينهما سرعان ما يعود إلى الظهور ،ويبدو أن هذا الخط موجود منذ أقدم العصور...>>[1]إن هذا التشبيه يؤكد أنه مهما حصل من نقاط تلاقٍ بين الطرفين ،وحتمًا سيبقى على مركزية مُتسدةٍ على الآخر ، وهذا راجع إلى نتاج صراعات تاريخية منذ القدم.

<< ويوحي كل ما حصل كما لو أن الشرق والغرب كانا ومنذ القدم مشتبكين في مواجهة منهكة ، غير مستنفذة ، كان المتوسط فيهما هو المركز ،فهو التنازع ومنطقة الانفصال في آنٍ معًا >>[2]يُحيلُنا هذا القول إلى أن أصل الحروب التاريخية كان من منظور واحد وهو مركزية الغرب ، لأنه السبب الأول وأصل نشوب هذه الصراعات ،ونجدها قائمة أو متمثلة في عدد الحروب التي تعتبر سباقة في نشوء النزاع الحاصل بين الطرفين مثل الحرب الميدية[3] والتي حدثت قبل هذا النزاع بزمن بعيد.

<< وهذا أمر كافٍ لكي نعد اندلاع الحروب الميدية بوصفها رمزًا لنضال أساس دام ألافًا من الأعوام بين أوربا وأسيا ، وهو مناسبة لتثمين الفوز الذي حققه الإغريقيون والذي هو انتصار العقل والحرية في الغرب بإزاء المادية

---

[1] تيري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر صورة الشرق في المخيال الغربي ،الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط ،تر.مي عبد الكريم محمود ،دار المدى للثقافة والنشر دمشق ،سورية ط،1،2006، ص،27.

[2] المرجع نفسه ،ص،27.

[3] وقعت الحرب الميدية الأولى في عام 490 ق. م ووجه الفرس حملتهم الأولى ضد أثينا وبلاد اليونان في هذه السنة، فتصدت لهم القوة الأثينية وعلى رأسها مليتاد يساعده بعض القواد مثل طاللياكوس وتيموستوكل وأرستيد، وتمكنت هذه القوة من صدهم وإلحاق الهزيمة بهم في موقعة ماراتون الكبرى، فارتد أسطول الفرس بعد ذلك عائدا إلى بلاده. محمد الشحات أيوب، مجلة الرسالة/العدد 429-1941 – 09 - 22

والاستبداد في الشرق . >>[1] من هذا المنطلق نرى بأن الحرب الميدية كانت تمثل الحرب الدامية بين الفرس واليونان التي عمرت طويلاً ،ونجم عنها صراعات عديدة كانت الغلبة فيها للغرب الذي كان يسوق فكرة أنه يمثل الجانب الروحي ، حيث تُشكل هذه الحروب بمثابة الوعي الذي سينشره الشرق ، وهذا ما هوإلا وجه خفي لما يُراد به من إضعاف وتهميش ،وفي مقابل هذا نجد أن صورة الشرق المراد إيصالها بأنه يمثل الطرف المادي المستبد ، ويبقى هذا من أجل إضعافه وتشويه صورته التي عكس هذا تمامًا مما رُوِجَ من قبل الغرب المادي المتسلط ،أي أن الشرق هو الجانب الروحاني عكس العقلاني صاحب الحرية والغرب هو العدواني المتسلط المادي.

في واقع الأمر لم تكن حقيقة هذه الصراعات والحروب تدور فقط على الجانب التوسعي للرقعة الغربية ،وكذا الجانب الديني بل تعدى هذا وصولاً إلى الجانب الفكري ، أي زرع الثقافة والوعي الغربي، هذا ما يمكنه من إعلاء نفوذه ونشر مذاهبه ونجد التحول بارزًا من خلال الحروب والذي يتعدى إلى ما هو ديني،وهنا يكون الصراع الحقيقي هو صراع الأديان ويعد من أخطر صراعات وخاصة عندما يطرح فكرة التعايش بين القطبين وهذا بقبول الآخر كما هو ، لكن في حقيقة الأمر عكس ما له أي رفض الآخر.

إن فكرة الصراع بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية هو موضوع بالغ الأهمية ، خاصة لأنه يحوي على طبيعة الصراع أو المعركة الفكرية القائمة بين القطبين ،فالأول الإسلامي الشرقي ينطلق من مبدأ الصمود في وجه

[1] تيري هنتش ، الشرق الخيالي ورؤية الآخر،صورة الشرق في المخيال الغربي،الرؤية السياسية الغربية للشرق التموسط،ص،38.

الغرب مع مراعاة الغلبة المعنوية والحلقية ، وهذه الأخيرة تسعى جاهدة إلى العمل على تطوير الأفكار والأدب وهذا مراعاة للجانب الخلقي الذي بفضلة فقط يتحقق مراد الشعوب في تحقيق مساعيها ،في مقابل هذا النوع لا بُد أن الآخر يختلف تمامًا معه فنجده يفرض نفوذه ويسخر ثقافته وقيمه على مبادئ مادية حيث تتغلب معتقداتها على المشاعر ، فإذا سلم الشرق بكل الأفكار والمعتقدات الغربية فهنا تكون الهزيمة الفكرية ، والتي سينجم عنها لا محال الهزيمة السياسية .

إن المرض الذي أصاب البلدان الشرق المسلم هي تعاطيه للغرب وحضارته التي لا تتماشى وطبيعة البيئة العربية<<فكانت هذه الشعوب الشرقية (المسلمة) من الأمم فقد حلت بها جميعًا نكبة واحدة وهي أنه قد استولت عليها حضارة نشأت في أحضان المادية ، هذه الحضارة قد أسست حكمتها النظرية والعلمية على قواعد خاطئة ...وبقي يخطو ويرتقي في وجهة غير صحيحة ،حتى انتهى إلى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك قريبًا. >>[1] فالحضارة الغربية انسلخت من إنسانيتها وانقادت نحو بلوغ المادية بأي وسيلة عكس الشرقي الإنساني الذي يحتكم إلى قيم ومبادئ لا تتماشى وفحوى الحضارة الغربية ،على ضوء هذا يتبين أن للحضارة الشرقية المسلمة قد عانت ويلات الصراعات من الجانب الغربي ، والتي كانت مبنية على أسس غير صائبة ، واستمرت كذلك إلى أن وصلت إلى قرب نهايتها ، وتختلف ظاهريا فيه

[1] أبو الأعلى المردودي،نحن والحضارة الغربية، دار الشهاب للطباعة والنشر،باتنة،الجزائر ،1988 ،ص،38.

تؤسس إلى النهوض على الشرق وجعله تابعًا في شتى المجالات وبذلك ستنشر ثقافتها على حساب الشرق الذي بدوره ستؤول ثقافته إلى الاندثار وإتباع معالم مخالفة .

إن فكرة الصراع التي سادت بين الشرق والغرب من خلال العلاقة القائمة بينهما والنزاعات المتواصلة أيضًا مهدت لبروز صراع جديد من نوع آخر تمثل في الصراع الفكري الذي شكلت عنه الحضارة كفكرة جوهرية عبر الحقب الزمنية في تاريخ البشرية، حيث نجد أن للصراعات القيمة الأولى زمنيًا الدور الفعال في بداية ما يسمى الصراع بين القطبين (الشرق و الغرب)، هاته الصراعات الحربية جعلت من القطبي الغربي يتموقع على السيادة باعتباره رمزًا للتحضر وهذا ما روج له ظاهريًا ، أما إذا تعمقنا نجده يهدف إلى التسلط والتسيد على العالم ، وكذلك من أجل أن يكون هو الرائد في كل المجالات ، فنجد الصراع انتقل من الحروب إلى وجه جديد من الصراعات تمثل في الفكري والديني والثقافي ،فالغرب كان يعمل على نشر أفكاره وتغليبها على المجتمع الشرقي ، وكان هذا عن طريق حركات استعمارية مباشرة أو غير مباشرة <<إن دور الأفكار في حضارة ما ، لا يقتصر على مجرد الزينة والزخرف المدفأة في المنزل مثلاً، فهو لا يصبح كذلك إلا حينما يصبح المجتمع في ما بعد التحضر ...ففي فترة اندماج مجتمع ما في التاريخ يكون للأفكار دورً وظيفي لأن الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهمة معينة بهم .>>[1] لابد على الشعوب التي تبني حضارتها أن يكون الاهتمام البالغ لدى المفكرين

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر ،دمشق ،ط،13،2016،ص،42.

والكتاب المبدعين الأساس هو بناء المجتمع على أفكار وقيم عالية ،فالأمم لا ترقى إلا برقي آدابها ،حيث أن للفكر الدور الفعال في المجتمع المتحضر.

امتاز أدب الرحلة قبل القرن 19 بالبحث عن غرائبية الشرق ، وروحانية الأجواء فيه ، وهذا عكس ما تميز به أدب الرحلة إبان القرن19 حيث اختلفت الصورة بينهما قبل القرن 19 وأصنافه ، ففي القرن 17 و18 كان <<الشرق في أدب هذين القرنين جميل الطلعة طلق المخيال ، خصب الخيال ، لبيب فيه طموح يشوبه بعض الغرور، وهو طيب الشمائل ، مهذب الخلق ، محمود العشرة ، كريم الضيافة ، ثم اِنه متسامح ، لا تعصب عنده ، يحترم حرية غيره في الاعتقاد مهما اختلف معه في العقيدة ...وهو محب للاستمتاع ،ميال الى الكسل ، يؤمن بكثير من الخرافات ، يخضع خانعًا لنير طغاة مستبدين من حكامه>>[1] فالرحلة في القرن 17 و18 أشادوا بكرم الضيافة وحسن الاستقبال على رجال الشرق أثناء رحلاتهم، لكنهم بالغوا في وصف الظلم وسوء استعمالهم لسلطتهم، فكانت كتابتهم وسيلة لمهاجمة سلوكهم وكذلك التعصب الديني متخذين من الشرق مثلا للتسامح وحرية الاعتقاد.

إن فكرة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ، الذي يعني الصراع الإيديولوجي القائم بينهما ، هذا الصراع طبعًا تجاوز العديد من الجوانب التي تخص الصراع ، أي تخطى ذلك إلى ما هو فكري وأدبي ، ولا يتأتى ذلك عن .....الاكتشاف إلى القيام يمثل هكذا رحلات هدفها إزالة الغموض الذي كان في مخيلتهم أمثال الرحالة الروس إلى الشرق الأوسط هذا من خلال القرن 19.

[1] كلودبيشوا.أندرية م ، روسو ،الأدب المقارن، تر،د/أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط،3،نوفمبر2001،ص،334.

<< امتاز حالة القرن 19 من الأدباء بالتحدي والاستقصاء في كتاباتهم بالدقة في وصفهم ، وكان لما كتبوا عن البلاد الأخرى قيمه كبيره تاريخيه ، ولكن الصورة العامة التي بقيت في الأدب الفرنسي عن مصر ، وعن شعوب الشرق عامه ظلت مشوبة بكثير من المخالفات ما كتب الأدباء الغرب عن الشرق في العصور السابقة >>[1] ومن هذا يتضح أن القرن 19 عرف نوعًا من الحركة الفكرية والأدبية التي اتسمت بالدقة والوضوح ، والتوغل أكثر فيما يخص بالأدب وقضايا البلدان الأخرى ، لكن هذه الصورة العامة كانت عكس ذلك تمامًا في الأدب الفرنسي ، التي ظلت كتاباتهم تتسم بالاختلاف جذريًا كما تناوله أدباء العصور السابقة، وعليه نستنتج أن في هذا القرن 19 عده رحلات أدبيه من خلالها قاموا بوصف تلك البلاد وعاداتهم وتقاليدهم كما نجدهم اهتموا أيضا بوصف المناظر وما تحويه هذه من آثار وما يسودها من معالم ورموز تدعو هؤلاء الرحالة إلى وصفهم لها.

ضمت أعمال المفكرين والأدباء الرحالة في القرن 19 من الشرق الأوسط في روسيا قبل عهد *بطرس الأكبر* عدة معلومات عن المنطقة بصفه عامه.

<< ففي روسيا لما قبل *بطرس الأكبر* وردت في مسيره الحجيج والتجار وإلى حد ما الدبلوماسيين ملاحظات وانطباعات ثابتة وبسيطة عن حياه شعوب الشرق الأوسط >>[2] وعليك فانه قد تم تقديم بعض الانطباعات الرجل التي

---

[1] كلودبيشوا.أندرية م ، روسو ،الأدب المقارن، تر،د/أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط،3،نوفمبر2001،ص،335.

*بطرس الأكبر : أوبيتر العظيم أوبيتر الأول أو ألكسييف ينشرومانوف(1672-1725)قيصر روسيا الخامس.

خصت الشرق الأوسط وهذه الانطباعات هي لا تعدوا أن تلقى إلى حقيقة وصف هذه الشعوب،تقديم بعض النماذج التي تعد ساذجة إلى حد ما ، لأنها لا تتناول الحقائق كما هي بل تتجاوزها إلى حد السخرية نوعا ما .

<< وقد نالت دراسة الشرق في روسيا في القرن 19 وأوائل القرن 20 نجاحات كبيره إلى حد بعيد ، وهناك دور كبير للبلاد ليس فقط في دراسة اللغات الشرقية ، والتاريخ ، والأدب ، والآثار... أنما في معرفه البلدان والشعوب التي تقطن المنطقة بصورة عامة ، من حيث الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية والأوضاع السياسية والانتوغرافيا وأسلوب الحياة ، وواقع المعيشة >>[1]

أما بالنسبة للقرن 20 فقد نالت هذه الترحلات عدد من النجاحات التي وصفت إلى حد بعيد ، ويعود هذا إلى الاختلاف والتنوع في دراسة البلاد على حقيقتها وتناول آدابها وآثارها ، وهذا يوجهنا إلى أن أدبنا بحاجه إلى إحاطة كاملة حول الرحالة الروس في الشرق الأوسط.

[1] ب.مداسينغ ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط ، تر،معروف حزنة، دار النشر والفكر ،موسكو ،1965،ص،13.

3- قضايا الرواية الحضارية ونماذج عنها

عرف الصراع الحضاري بين الشرق والغرب - والذي طال أمره - حيث كانت بداياته قديمة قدم الاتصال بين الحضارات ، وهاته الأخيرة ولدت نزاعات كثيرة بين القطبين (الشرقي) و(الغربي) تمثلت في قضايا متعددة أبرزها الهوية والدين واللغة باعتبارها أهم مقومات الحضارة من مختلف جوانبها ، وكذلك الايدولوجيا وهذه الأخيرة تشمل كل ما احتوى أنواع الصراع بين(الشرق والغرب)،(والهامش والمركز)،(المستعمَر والمستعمِر) و(الرجل والمرآة).

3-1 الهوية:<<تطرح الهوية مسألة التماثل والاختلاف، ولكن ما قد يكون متماثلا مع آخر في أحد جوانبه قد يكون مختلفًا معه من جانب آخر. >>[1] يعكس لنا هذا القول فكرة أن الهوية صراع لمتقابلين مختلفين،**مثل:** الإسلام والمسيحية والمستعمَر والمستعمِر... الخ<< حيث ينظر للهوية على أنها الخصوصيات التي تميز فردًا عن غيره ، أو جماعة عن غيرها ، وتمثل انعكاسًا لواقع ما ولتصورات معينة ، فالهوية تطرح نفسها بحكم التغيير والتحول وهذا يعني أن إشكالية البحث عن الهوية ليست إلا أطروحة للتحول الحضاري، من أجل تأكيد الذات كونها مفتاح الدخول إلى عوالم الفرد وتحديد انتمائه. >>[2] فالهوية باعتبارها مرآة الواقع وتطورات الفرد، كما أنها تعالج مقتضيات الحضارة من اجل إثبات الذات.

---

[1] نورة فرج ، ارتباكات الهوية ، أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية الفرنكوفونية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ،ط1، 2007 ،ص،95.

[2] سمير خليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1971، ص 224،.

ومن بين القضايا التي شغلت مواضيع الرواية الحضارية سواءُ عربيه (مشرقية ومغاربية) والغربية، والتي طرحت موضوع الهوية بكل ما تحويه الكلمة من أبعاد (الدين واللغة) باعتبارهما الركيزتين الأساسيتين التي تقوم عليهما هوية الشعوب.

أ) قضية الهوية في الأدب الشرقي:

تعددت الروايات التي تناولت موضوع الهوية واختلفت النظرة من روائي لآخر، وسنركز في دراستنا على راوية عربية للكاتب المصري توفيق الحكيم المعنونة بـ (عصفور من الشرق) حيث <<تناول فيها الحكيم يوميات الشاب محسن والفتاة سوزي، تبدو القصة للوهلة الأولى أنها تتحدث عن قصه حب فاشلة بين شاب مصري وفتاة فرنسية في باريس وتحاول أن تعكس حال المجتمع الفرنسي الفقير في تلك المرحلة إلا أن القصة الحقيقية المراد التعبير عنها أو مغزى القصة يمثل الصراع بين الحضارات ، حضارة الشرق والغرب بصيغة عامة فالشرق المتمثل بالشاب المصري والغرب المتمثل بالفتاة الفرنسية أما الصديق الروسي "ايفانوفتش" فهو الذي يقوم بدور المقارنة بين الشرق والغرب ، وتلخص مقارنته في النهاية إلى أن الغرب جسد السطحية وأقنع بالحياة المزيفة على سطح الأرض ، متجاهلين الحياة الأخرى بعد الموت ، هذا ما دفع الناس إلى التكالب على مغريات الحياة ، أما الشرق فقد أعطى الناس الأمل بالحياة في عالمين منفصلين هما عالم الدنيا وعالم الآخرة فمن فاتــه شيء في الدنيا يُحظر بــه في الآخرة.>>[1] تلخص كل هذا في شخصية **"محسن"** التي تمثل صورة الفرد الشرقي أو العالم الشرقي بصفة عامة ، المتمثلة في السلوكات والعقيدة والأعراف والعادات والتقاليد من خلال ما أبداه الحكيم في

[1] يُنظر توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة،1938.

روايته ، وغاية توظيف السخرية الشرقية هو التطلع على ثقافة الغرب وكسب المعرفة دون أن يغير من مبادئه وبعيدًا عن الحياة اللهو عند الغرب.[1]

<< أنه فيما يبدو لي شاب لا يميل إلى اللهو كسائر شباب ... حقيقة أنه لا يحب سوى المطالعة والتأمل والموسيقى ... >>[2] تعكس هذه المقولة شخصية محسن التي لا تمت بأي صلة إلى سائر شباب من نظرائه حيث اختلف عنهم في طريقة التفكير والمعاملة.

<<أيضا تمثل شخصية "سوزي" الشابة الفرنسية ذات العينين المتسعتين من لون الفيروز تزينهما أهداب طويلة شقراء. >>[3]حيث حسب هذا القول فان سوزي كانت ذات وجه فاتن تستهوي الشباب أي كان. فتعكس هذه الشقراء المجتمع الفرنسي الغربي ، تعيش سوزي في شقة وحدها عاملة تسعى إلى كسب رزقها بمفردها ،... شخصية سوزي الفتاة المتحررة وكذلك المادية ، حتى عندما وظفها على أساس الشقراء والجميلة هذا إبراز لصورة الغرب المتمثلة في محاسن الفتاة "سوزي" وتمثيل صريح للحضارة الغربية وثقافتها ، وكذلك مثلت علاقة الشرق بالغرب من خلال إقامة علاقة تزاوج بين الحضارتين فالحكيم هنا يصور لنا سوزي مرآة للعالم الغربي المتحرر ومثال للحضارة في القطب الغربي.

<< لا بد أن يتخلى الشرق عن روحانيته وأن يعيش مع الواقع ، ولا بد للغرب أن يترك اللامبالاة واللهو ، ويقلل من ماديته >>[4] تطرح هذه العبارة فكرة التعايش بين

---

[1] ينظر فطيمة بن ربيعي ،الشرق و الغرب في (عصفور من الشرق)لتوفيق الحكيم،جامعة المدية ،ص165وما بعدها.

[2]يُنظر توفيق الحكيم،عصفور من الشرق،ص،39.

[3]مرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[4]يُنظر توفيق الحكيم،عصفور من الشرق، ص،39.

القطبين من خلال هذه العلاقة بين الشاب "محسن" والفتاة "سوزي" ، وهذا كله بقبول الطرف للآخر دون النظر إلى أصله ودينه وانتمائه رغم كل هذا إلا أن طبيعة الفكرة التي تبنى على أساس التعايش كانت متذبذبة منذ البداية نظرًا للاختلاف الديني وتمسك "سوزي" بعاداتها الغربية وحبها للهو ، عكس "محسن" المخلص الوفي لحبه بالرغم من انتمائه العرقي ، دائما الغرب يرفض هاته الفكرة (التعايش)واستعلائه المباشر على الشرق ورفضه التام للحضارة الشرقية والسبب الأكبر والأول لهذا الرفض هو الاختلاف الديني وكذلك هنـــاك في مقـــابل الاختلاف الديني هناك فروقـــات أخرى بين القطبين (الشرقي والغربي) فهناك الاختلاف في الدين واللغة وأيضًا العادات والتقاليد وكذلك الثقافة[1] .

يتجلى من خلال رواية عصفور من الشرق صدام الهوية من جانب الدين وهذا ما يسعى إليه الغرب المتسلط بطمس معالم الهوية الشرقية.

<<وكان لابد للحكيم أن يكمل ثنائية الهجومية ويشن على الغرب حملة شعواء شملت كل مظاهر حياته الحضارية والتدميرية ... أما إسلام العصر الحديث في الغرب فهي الفاشية وهي كذلك لها طابع الإيمان والنظام إيمان لا بالله بل بزعيم من البشر ونظام لا يؤدي إلى التوازن الاجتماعي بالتواضع والزكاة وانما هوا نظام فرضته يد الإرهاب ليؤدي إلى مطامع الاستعمار والوثوب على الضعيف من الشعوب ...ولهذا الدين أيضًا كتابه وخطبه المنبرية الملتهية لا بحرارة عقيدة سماوية ولكن بحرارة قوة حيوانية وشراهة دموية. >>[2] صحيح ما ذهب إليه الحكيم في أن الفاشية دمرت العالم

[1] ينظر فطيمة بن ربيعي ،الشرق و الغرب في (عصفور من الشرق)لتوفيق الحكيم،جامعة المدية ،ص.ص.170،171.

[2] سالم المعوش ،صورة الغرب في الرواية العربية ، مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت لبنان ،ط،1، 1998، ص،360.

من خلال المبادئ التعسفية والأحكام القاسية إبان فترات الحروب وهو الوجه الحقيقي للرأسمالية الغربية وهذا ما التجأ إليه الحكيم ليصور الواقع المعاش لذلك كان يمقت هذا الواقع لأنه لا يُجيده أو لأن تفكيره كان أبعد أكثر من ذلك ، وأهم نقطة ركزوا عليها هو إبقاء الشرق تابعًا للغرب في كل المجالات والقضاء على الدين الإسلامي في مقابل هذا إحياء للمعالم الغربية.

نجد الحكيم يمعن في تعداد مثالب الغرب وهذه الأخيرة الحضارة الأوربية الحديثة والمتمثلة في مظاهرها الخلابة وعلمها المدهش التي تروجه إلى الشرق ،وهذا التحضر أو التمدن يتآمر على قتل الفضاء الإنسانية العليا للشرق.

ب) قضية الهوية في الأدب الغربي:

يقوم الصراع الحضاري على زعزعت مقومات الشعوب والمجتمعات والحضارات لتصبح ضعيفة وتسهل السيطرة عليها , ولعل من أبرز تلك المقومات نذكر اللغة , الدين ,الهوية , وهذه الأخيرة تعد من بين الركائز الحساسة في تشكيل خريطة الحضارات والمجتمعات ففي ثنائية الأنا والآخر ظل الآخر (الشرق) تابع للأنا الغربية بسبب وهن هويته والتشكيل فيها وتحديدها بحسب منظور الآخر وتباين المستعمرين كل يضع بصمته الخاصة , فالهوية قضية أسالت العديد من الكتاب ونذكر مثلا رواية (تزاوج الطيور)" لويس نيكوسي" التي حاول فيها تباين العلاقة بين الثنائية (رجل وامرأة) ,(معرفة وسيطرة) ,(مستعمِر ومستعمَر) فالرواية تضع نفسها داخل المقاومة والإقصاء وتقدم مثلا لاختراق الصمت حيث ينجذب وعي المستعمر نتيجة الظروف الثقافية في جنوب إفريقيا ؛معنى ذلك أن الاستعمار الغربي

أصبح بعدما كان مهيمن على مستعمراته بالسلاح أضحى مسيطرًا عليها بوسائل التواصل المختلفة وكيل الأقلام المبدعة بقيد الصمت ,فالرواية في ظاهرها تتحدث عن معاناة ومحنة رجل أسود من جنوب إفريقيا يواجه السجن والإعدام لاغتصابه امرأة بيضاء , كما توضح الرواية خطورة المعرفة التي تقود المجتمعات إلى التعبير والبحث عن وجودها , فهي تجسد الخوف من اكتساب المعرفة من قبل الخاضعين للهيمنة وبالتالي اكتسابهم للقوة فتعلم الأنا السوداء يجعلها ترى الآخر الأبيض مساوية لها فالمطالبة بالمساواة بين العرقين الأبيض والأسود شكلت خطرًا على الطرف المهيمن فيرى " لويس نيكوسي" أن العلم والمعرفة سلاح يدمر هيمنة وسيطرة الآخر ,وفي روايته " تزاوج الطيور" تبين كيفية انتقام المستعمَر من المستعمِر وذلك عن طريق إثبات فحولته فالرجل الأسود بإقامته علاقة جنسية طوعية وغصبية مع امرأة بيضاء ينتقم من المستعمِر ويثبت له أنه رجل مثلهُ.

فعلاقة " ندي " بالمرأة البيضاء كانت لإثبات وجود (ندي) وتمرده على الحدود والقوانين المنصوصة من طرف الآخر المسيطر ، وأنه يستطيع تجاوزها إن أراد سواء عن طريق العلم والمعرفة بإثبات فحولته.

وفي الأخير يتبين من رواية تزاوج الطيور أن العلاقة بين الأنا (الأسود) والآخر (الأبيض) لا تنحصر في علاقة السيد والعبد والقوى والضعيف بل تتجاوزها لمساواة بينهما أو الاعتداء بالقوة لإثبات وجودها فاغتصاب (ندي) للمرأة البيضاء كان بدافع إثبات الوجود .

2-3 الأنا والآخر :

من أهم إشكاليات أو قضايا الصراع الحضاري قضية الأنا والآخر فهي <<الثقافة أو الهوية الثقافية الحضارية والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية وهي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك.>>[1] فجدلية الأنا والآخر فهي تعبير عن ثقافة الصدام الحضاري بين القطبين الشرقي والغربي في حد ذاتها تمثل الفارق بينها من جوانب عدة وهي صراع الأديان الإسلام والمسيحية والرجل والمرأة والمستعمَر والمستعمِر والهامش والمركز....الخ

هاته الجوانب الرئيسية في قضية الأنا والآخر قد وضحت جليًا في عدة نماذج أدبية شرقية وغربية فالشرقية تمثلت في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للأديب " الطيب صالح " وأيضًا في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج وكذلك رواية اليهودي الحالي لعلي المقري ...

أما النماذج الغربية فتمركزت الأعمال الأدبية التي عالجت قضية الأنا والآخر من خلال جوانبها في قضية الصراع الحضاري في عدد من المؤلـــفات وهي : (قـلب الظـــلام) لــ " جوزيف كونراد".

إن المستقصي لمسار الرواية المعاصرة يرى إقبالا كبيرًا على قضايا الصراع الحضاري بين القطبين الشرقي والغربي حيث الأعمال الأدبية بأبعادها ومن أهم النظم الأدبية التي تناولت الصراع أو الصدام الحضاري بين أصالة الأنا وحداثة الآخر الرواية العربية (موسم الهجرة إلى الشمال)"للطيب صالح"<<حيث ركزت الرواية على الصراع الحضاري بين الشرق والغرب برواية مليئة بمشاعر التغيير

[1] هاجر مباركي ، علوم في الأدب العربي. الهوية بين الأنا والآخر في أعمال أمين معلوف ،جامعة عبد الحميد بن باديس ، 2018/2017،ص،230 .

وبذاكرة مفعمة بالصراعات بين طبيعة الحياة في مدينة لندن وبين الحيـــاة في السودان>>[1] فالرواية تحلينا إلى سرد النمط المعيشي في فضاءين متباينين لندن المدينة الحضارية الغربية وسودانا لافريقية الشرقية المتخلفة عن الركب الحضاري،بالإضافة إلى الأماكن جاءت شخصيات الرواية لتوضح خلفية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب،فنجد مثلا شخصية<< " مصطفى سعيد " الأنا ثم الراوي ثم سكان القريـــــة و يشكل " مصطفى سعيد " شخصية محورية بحضورها اللفظي والدلالي وتأثيرها على باقي الشخصيات إذ جمعت بين رواسب ثقافية محلية ومكتسبات حضارية وافدة تمثلت الأولى في العادات والتقاليد والقصص الشرقية والماضي الاستعماري المؤلم والموجع وتمثلت الثانية المكتسبات الغربية في اللغة الانجليزية والمكانة العلمية .....>>[2]،فالرواية عالجت الصراع في بيئتين مختلفتين في الثقافة والتاريخ لندن والسودان حيث تطرقت لطبيعة الحياة والفكر والثقافة في الفضاءين استنادا إلى خلفيات تاريخية <<فمصطفى سعيد الناجح عمليًا وهو المنحل أخلاقيًا رجع إلى السودان بشخصية لم تستطع التأقلم الايجابي مع المجتمع فهو شخص يتيم تفجرت مواهبه وطاقته ثم خالف مبادئ وثوابت مجتمعه في الغربة عندما أتيحت له البدائل فكانت شخصية مخالفة لشخصية الراوي الذي عايش ظروفا مشابهة تقريبًا وقد رجع من المكان نفسه الذي رجع منه مصطفى ،غير أن الراوي عاش حياته في الغربة حسب متطلباته الغرائزية المنضبطة ليعود بعدها إلى

[1] موسم الهجرة للشمال ،للطيب صالح ،مقال،تم الاطلاع على الموقع http//hyatok.Com يوم 2020/02/03 سا 14:20.

[2] مديحة عتيق ،فصول في الأدب المقارن دراسة ، دار ميم للنشر،الجزائر،ط،1، 2011،ص120.

بلده السودان ويستغل خبراته ومهاراته لخدمة بلاده.>>[1] تسلح بطل رواية عصفور من الشرق بفحولته لينتقم من بلد اغتصب أرضه ونهب خيرات بلاده ليمتص منه كل المهارات والأساليب الحضارية ليخدم بلاده .

حجزت رواية الطيب صالح مكانة لها في الساحة الأدبية والنقدية كونها << تعد رائعة الطيب صالح الروائية واقعة تكفي بحد ذاتها للدلالة على مدى ارتجاجية مفهوم الشرق والغرب وعدم مطابقته للواقع فالشرق شرق والغرب غرب ما دامت إفريقيا مسقطة من الحساب.>>[2] يبين الراوي في موسم الهجرة إلى الشمال إصرار الآخر على الاحتفاظ بموقع والمحتقر لغيره.

إن تبجح ونرجسية الغرب بسبب توسعه الاستعماري وتاريخه الحافل بالانجازات ولو في حق البشر والإنسانية جعلته يرى الشرقي دوني ومتخلف ف << يبدو تعجرف الآخر وإحساسه المرضي بالتفوق من خلال علاقة "جين موريس" بمصطفى سعيد وهي علاقة عدوانية حامية الوطيد أشبه ما تكون بساحة الحرب ويبدو مشهد إصرار جين على ألا تسلم نفسها لمصطفى إلا بعد أن يسلمها المزهرية والسجاد عميق الدلالة وبالغ الكثافة والترميز فأقل ما يدل عليه إصرار الآخر على القضاء على ما تبقى من الهوية ما قبل الاستعمار للمستعمر إلى المستعمِر.>>[3] من خلال هذا نفهم أن مساعي الغرب طمس معالم الأنا العربية وإعلاء شأن الآخر الغربي وإبرازها على الثقافة العربية ويأتي هذا الاحتقار في ثوب الرحمة القاسية.

---

[1] موسم الهجرة للشمال ،للطيب صالح ،مقال،الاطلاع على الموقع الالكتروني http//hyatok.Comيوم 2020/02/03 سا 14:30.

[2] جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية ،دار الطليعة للطباعة والنشر .بيروت لبنان ، ط 1997، ص ، 142 .

[3] مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دراسة ، دار ميم للنشر، الجزائر ،ط،1،2011 ص،130 .

وتطرح قضية الاستعمار من خلال هاته الرواية من خلال الصراع الحضاري القائم بين القطبيين، الذي يخلق احتكاكًا مدمرًا بدل أن يكون مثمرًا ،ونلتمس من خلال هذا<< حيث تغلب الطابع الانتقامي والعدواني في تواصله معه ،ولا أدل على ذلك من تلك العبارة المضغوطة والعميقة التي يستعملها كثير جئتكم غازيًا.>>[1] نظرة الآخر الكولونيالي دائما خبيثة ودونية ومتسلطة تجاه الشرق الروحاني ، الذي يحمل قيمًا ومعالم نبيلة تعلو على المعالم غير الأخلاقية والمعكوسة تمامًا عن صورة الأنا.

تعددت الروايات التي تناولت موضوع قضية الأنا والآخر وهذا نتيجة للمرحلة الكولونيالية ، وبهذا إنكار الهوية الحضارية للشعوب المستعمرة ،وعدم اعتراف المستعمر باللغة على أساس أن اللغة مكون حضاري،<< فنجد رواية " قلب الظلام " لجوزيف كونراد الذي كان طموحه أن يكون بحارًا يجوب أصقاع العالم على متن السفينة والغوص في أعماق النفس البشرية وتسليطها الضوء على ظلام الروح الإنسانية وسوداويتها مهما بالغ الإنسان في تنميق وتلميع القشرة الخارجية – حيث أسمته هذه الرواية في صياغة الثنائية الأنا الأوربية والآخر الغير أوربية >>[2] إن حقيقة ما فرضه الاستعمار من محاولة لطمس معالم الهوية للشعوب المستعمرة ، وهذا الاستعمار يستوجب القضاء الكلي على ما تقوم عليه الشعوب المستعمرة من لغة ودين وجميع المبادئ التي بها تنشأ أي أمة من الأمم.

<<يملك كونراد من وعي الذات ، فيما يتعلق به وضعه حكاية "مارلو" في لحظة سردية، درجة عالية تتيح لنا أن ندرك في آن واحد أن الامبريالية تعد كل حساب لم تكن بعيدة أشد البعد عن ابتلاء تاريخها الخاص فحسب ، بل كانت أيضًا تحدث في

[1] مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دراسة ، دار ميم للنشر، الجزائر ،ط1،2011 ص،129 .
[2] المرجع نفسه ،ص،122 .

تاريخ أشمل وكانت محاطة بهذا التاريخ ، وهوا تاريخ يقع مباشرة خارج الدائرة المحكمة من طرف الأوربيين .>>[1] إن السلطة الكولونيالية ضارب في تاريخ البشرية فمنذ القدم وظاهرة تسلط وتسيد الرجل الأبيض على الرجل الأسود سائدة هذا ما صوره جوزيف كونراد في روايته واصفا الحساسية بين الغربي والشرقي عامة والإفريقي خاصة.

إن زحف الأوربيين إلى إعلاء نفوذهم السياسية والثقافية على حساب المستعمرات وهذا ما يصطلح عليه بالإمبريالية ويبين الأوربيين الفروقات الموجودة بينهم وبين مستعمراتهم وهذا حتى في لون البشرة واللغة والانتماء والتاريخ والهوية التي هي حق كل (مستعمر).

صورة الأنا الأوربية في قلب الظلام :

إن رواية قلب الظلام من بين الروايات الأوربية التي كشفت بشاعة الاستعمار الأوروبي وفظاعة جرائمه ضد الإنسانية ، من خلالها تتبين نواياه التي يكنها لمستعمَراته <<... على أن الظلام في الرواية صار رديفًا لظلمة نفوس البيض بسبب عمـــاهم وأنانيتهم وقسوتهم فيما بينهم من أجـــل العاج. >>[2] يبين هذا ما يكنه المستعمِر من كراهية وبغض شديد للمستعمَرات ، والفروقات التي بين البيض وسكان إفريقيا ، فهو يدين تكالب البيض على العاج، ويميز بين الاستعمار العنيف القاسي ومخلفاتهّ وبين عنصرية الآخر الغربي اتجاه الأسود.

[1] ادوارد سعيد،الثقافة والامبريالية ، تر،كمال أبو ديب، مكتبة بغداد، دار الأدب ،ط،4 ،2014 ص،94 .

[2] مديحة عتيق، فصول الأدب المقارن ، دار ميم للنشر ،ط،1،2011،ص،124 .

* تشينوا أشيبي "chinuaachebé" (10 نوفمبر 1930 - 21 مارس 2013)، روائي نيجيري

- **صور الآخر**:

إن الآخر في رواية قلب الظلام هو إفريقيا وسكانها الأصليين وهم الزنوج ، فمن خلال الرواية هاته نجده يحكي عنهم تارة بلهجة باردة وتارة أخرى وثالثة مشفقة «أما الآخر الأفارقة ، فجاء الحديث عنهم بصيغة الجمع وبضمير " هم " إمعانا في تجاهلهم وإنكارهم صيغة الإنسانية عليهم ، وهذا ما دفع الكاتب النيجيري تشينوا أشيبي "chinuaachebé"* إلى وصف كونراد بأنه كاتب عنصري بامتياز ، إذ تفنن في تجاهل إفريقيا بلدًا وحضارة وثقافة وأفراد ، ولا أدل على ذلك من أنه لم يجعل أي شخص إفريقي يتحدث أو يسأل أو يجيب ، وهذا إمعان في تفني إنسانيتهم و وجودهم البشري إذ نجد الأفارقة أشبه بالأشباح منهم من الآدميين.»[1] تبقى النظرة السلبية للأفارقة(المستعمرات) مهمشة في جميع الجوانب الثقافية والدينية والحضارية وجعلها ناجعة للأوربيين باعتبارهم رمزًا للحضارة ،حيث كان الإفريقي أسود البشرة خاضع لسادية الأوروبي الأبيض فهو يكلف نفسه مهمة تحضير الأسود الإفريقي الهمجي وتلك المهمة تكمن في امتداد سلطته عليه فقد «سخرت الإيديولوجية الامبريالية العقل بطريقة ماكرة وجندت العلم والتاريخ لخدمة أغراضها فصورة الأوروبي المستعمِر يجب أن تبقى صورة مشرفة إنه لم يأت كمستغل وإنما جاء كصاحب رسالة تنويرية كما أنه لا يسعى للكسب بل هو يؤدي واجبه نحو خالقه وملكيه عندما يمد يد المساعدة إلى من لم يحالفهم الحظ في أن يرتقوا إلى مستواه الرفيع إنه شعار الرجل الأبيض الذي أتاح له أن

[1] مديحة عتيق ،فصول الأدب المقارن ، دار ميم للشر ،ط،1، 2011،ص،125 .

يخضع قارات بأكملها»[1]،هذا ما راح إليه كونراد في جعل الرجل الأوروبي سيدا على الرجل الإفريقي فهو يراه مجرد آلة أو تمثال ويبرر همجية ومعاملة الإفريقي للأبيض بأفعاله الشنيعة المقترفة في حق الإفريقي.

رسم كونراد صورة الآخر الإفريقي الأسود الخاضع للأبيض الأوروبي الذي يمده بالحضارة والتطور بشكل غامض فلم يتمكن من التخلص من قيود عصره وفضائه الامبريالي الذي عاش وترعرع ضمن حدوده في رسم صورة الآخر [2] ، «إذ يفتتح قصته بالحديث عن وصف إيمانه بفكرة الرحلات الأوروبية والاستعمار وغزو أفريقيا ثم يواصل سرد روايته حول أهوال المهمة البلجيكية في الكونغو، ويبدو في القصة أن التناقض الواضح بين فكرة الاستعمار وواقعها لا تزعج مارلو . يرى مارلو أن تصرفات الأفارقة تجاه الأوروبيين ما هي إلا رد فعل طبيعي على تصرفات الأوروبيين الذين يسيئون معاملتهم في المحطات المتواجدة على طول النهر. يفشل مارلو أكثر من مرة في رؤية الأفارقة والأوروبيين على قدم المساواة، فهو يتألم على فقدان قائده الراحل و يصفه أحيانا بأنه متوحش وأحيانا بأنه أداة ولكنه يصر على أن هناك نوع من الشراكة بينه وبين الأفارقة»[3]،فلم يصل كونراد إلى رأي نهائي حول الاستعمار والثورة الامبريالية ومخلفاتها تارة يقف موقف الناقد الناقم على القوى الاستعمارية الامبريالية وتارة يساندها لأن تلك الشعوب تستحق

[1] رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد،تر:صباح قباني طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق،ط3،1993،ص19.

[2] ينظر فخري صالح،قبل نجيب محفوظ وبعده دراسات في الرواية ،منشورات الاختلاف،ط1،2010،ص169.

[3] محمد عبد الكريم يوسف،رسائل قلب الظلام ،موقعhttp://www.almothaqaf.com ، يوم الخميس 12 نوفمبر 2020،الساعة 13:31.

الاستعمار والغزو لعجزها على تسيير نفسها وتطوير ذاتها ،«فبالرغم من أن كونراد مضادا للامبريالية من نواح كثيرة ،إلا أنه اعتقد أيضا أن الامبريالية محتومة ،لم يستطع أن يفهم ،ولم يفعل غيره في تلك الأيام أيضا ، أنه من الممكن للسكان الأصليين أن يأخذوا بأيديهم زمام التحكم بمصيرهم، لا ألومه على نحو استعادي ،لقد عاش في عالم سادته جوهريا المركزية الأوروبية »[1]، فالآخر الغربي متشبع بأفكار امبريالية تقول بنفي واحتقار الشرقي الإفريقي ، وتقييد حرياته وتشييئه ليتمكن من زرع ثنائية السيد والعبد،المستعمِر والمستعمَر.

على اثر ما تقدم يمكننا أن نلخص استنتاجات هذا الفصل في العناصر التالية:

- الصراع الحضاري وليد نزاعات امبريالية كولونيالية بين القطبين الشرقي والغربي
- من بين القضايا التي تحقق الرؤية الحضارية قضية الهوية،ثنائية الأنا والآخر
- تقوم ثنائية الأنا والآخر على خلفية تاريخية كولونيالية تحتكم إلى أفكار وقوالب ضدية كثنائية (السيد والعبد)، (مستعمِر ومستعمَر)،(ابيض واسود)
- قضية الهوية من بين القضايا الأساسية في الرؤية الحضارية حيث شكلت المحور الأساسي في الاتصال الثقافي الحضاري بين الحضارتين الغربية والشرقية
- تباين الحضارتين الشرقية والغربية خلف صراع حضاري يهدف إلى فرض هيمنة وريادة حضارة على حضارة أخرى

[1] إدوارد سعيد ،القلم والسيف ،تر.توفيق الأسدي،دار كنعان للدراسات و النشر، دمشق ،ط1،1998،ص62.

- برز الصراع الحضاري منذ الصراع الإسلامي الصليبي مرورا بالهيمنة الاستعمارية وصولا إلى التحرر في شتى المجلات السياسية والثقافية والاقتصادية المزعومة

الفصل الثاني :الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييه

المبحث الأول :صدام الهوية في رواية قطرة الذهب

المبحث الثاني :النموذج الحضاري في الرواية

2- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في رواية "قطرة ذهب" :

لقد تولدت صراعات حضارية عميقة وكثيفة في العالم نتيجة ما فرضته القوى الاستعمارية الكبرى على الشعوب المستعمرة ، وهذا الصراع تناوله عدد من الأدباء الروائيين باختلاف مشاربهم بين الشرقي والغربي، وكل كتب حسب تأثره ونظرته بطبيعة هذا الصراع ، فمنهم من أنصف هذه الشعوب وكتبه بصدق عن ما تعانيه ونقل صورة واقعية موضوعية، والبعض الآخر نظر بنظرة مزدرية دونية وحكم وأن تلك المجتمعات متخلفة ولا يمكن لها أن ترسم معالمها إلا من خلال الأنا الغربية التي تمثل القطب المتحضر، ومن أبرز الروائيين الغربيين الذين تناولوا في فكرة الصراع الحضاري بين قطبي (الشرق والغرب) نجد الروائي الفرنسي **ميشيل تورنييه** في روايته **(قطرة الذهب)**والتي هي محل دراستنا .

فكيف جسد هذا الروائي علاقة الشرق والغرب في الرواية ؟ وما هي الأبعاد التي تناولها في روايته؟ وما هي أبرز الفروقات التي جسدت في عمله حسب رؤيته للنموذج الحضاري؟

هذا ما نحاول معالجته ضمن عناصر هذا البحث، بالوقوف على صدام الهوية والنموذج الحضاري في رواية "قطرة ذهب"

2-1- الصراع الحضاري في رواية قطرة ذهب :

تسرد لنا رواية "ميشيل تورنييه"(قطرة الذهب) واحدة من المغامرات التي تكشف أن ملحمة الترحال بين الفضائيين (الشرق والغرب) وبين رتابة الحياة التقليدية والحياة المعاصرة المادية (مشروع لفيلم وكنّاس)، ومن الصدف التي يمكن أن تغير حياة كل إنسان فكل شيء في حياة إدريس بطل الرواية الذي كان يمضي وفق النمط المعتاد للحياة في الصحراء الكبرى، فقد كان << فتى بدوي بسيط يرعى غنمه ولا ينتظر شيء أو أحدا في بيئة عتيقة تتكرر فيه الظواهر والأدوار دون تغيير يذكر ... >>[1] ، وفي هذا توضيح وتصوير شامل لطبيعة حياة الفرد الشرقي في فضاء الصحراء الكبيرة؛حيث أن النمط المعيشي الفضاء الشرقي متباين عن نمط الفضاء الغربي،فالشرقي حبيس العادات والتقاليد يعيش وفق نمط محدد توارثه عن أجداده وآبائه << ... كان إدريس يدفع قطيعه الصغير بعيدًا نحو خط الكثبان المتوهج كما لم يفعل بالعشية أو الليلة التي سبقتها >>[2] أما الغربي فهو دائم التطور يحاول باستمرار استكشاف العالم وتغذية روحه ثقافيا واجتماعيا وهذا ما جعل السائحة الغربية تقوم برحلة إلى الشرق واستنطاق صمته، وهذا ما نستشفه من المقطع السردي الموالي :<< كان على متنها شخصان رجل يقود وبجانبه امرأة لم يميز منها إدريس في البداية سوى الشعر الأشقر والنظارات الكبيرة ، وتوقفت السيارة ونزعت المرأة نظارتها وقفزت في الأرض ، وتهدل شعرها بقعت صفراء على كتفيها كانت ترتدي قميصا كاكيًا مفتوحًا للغاية وسروالاً قصيرًا على نحو شائن ...كانت تحمل آلة تصوير>>[3] اهتمام تونييه بوصف هندام ومادية الشخصين الغريبين عن إدريس كان لتبين تطور وتقدم الآخر الفرنسي شكلا وإحداث مفارقة بينهما وبين بطل

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب، تر:نجوى حسن ط1 المركز القومي للترجمة 2016 ص.07

[2] المصدر نفسه ،ص07.

[3] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ، ص12.

الرواية. من هنا تنطلق فكرة تباين واختلاف الحضارات؛<<حيت أن الحضارات تقوم على التكامل لا مع الانطلاق ووهم الاكتفاء بالذات فإشكالية أن الآخر مستعمر ومستبد قد ولت وحلت محلها نظرية الانفتاح على الآخر وكسر هيمنته على غيره >>[1]فالعلاقات الحضرية أضحت قائمة على التفتح واكتشاف الآخر متجاوزة عن سيطرته الاستعمارية وتصوراته المركزية النرجسية،هذا ما يمكن أن تصوره (قطرة ذهب) فالعلاقة بين الحضاريتين العربية والغربية صورها "ميشيل تورنييه" وفق منظور جديد دون الاستناد لتصورات قبلية وعدائية تتحكم فيها الخلفية الاستعمارية، لكن هذا ظاهريا، أما باطنيا فتبقى عقدة الاستعمار المسيرة والمتحكمة في العلاقات بين الأنا والآخر، وفي تشكيل وبناء الحضري العربي والغربي.

عمل"ميشيل تورنييه"على أن يصور الصراع الحضاري بين الشرق والغرب بمنظور راق مبني على الحوار والانفتاح بين الحضارتين،وهذا ما يبدو ظاهريا، أما الحقيقة الخفية فهي فتيل صراع حضاري مشبع بخلفية كولونيالية استعمارية؛ حيث أن الروائي قد اختار الشرقي راعٍ ليجابه حضارة غربية بأسرها، وهنا نلمس النظرة الدونية للشرقي ولحضارته، لنتمعن المقطع السردي التالي :

<< -أيها الصغير لا تتحرك كثيرًا سوف أقوم بتصويرك...

- أعطيني الصورة، ... كانت أول كلمات ينطقها إدريس >>[2]

نلمس النظرة الدونية في استصغار الفتاة الغربية الشقراء لإدريس بقولها أيها الصغير حيث كان همها الوحيد تصويره وامتلاكه دون إذنه أو استشارته، فقد منحت نفسها حق التسلط والهيمنة عليه، فانبهار إدريس بتلك (الكاميرا) التي لم يسبق له أن

[1] زهير محمود عبيدات ،الحوارية في مقاربات الزداني ،الأردن الجامعة الهامشية .كلية الآداب .قسم اللغة العربية وآدابها .ص.23.

[2] ميشيل تورنييه، قطرة ذهب، ص.13.

رآها جعلته اقل تحضرا منها لذلك استغلت جهله لتلك الثقافة، لتبدأ مغامرته وحياته الجديدة مع رحلة البحث عن الذات، فقد أحس أن شيئا قد سُلب منه وعليه استرجاعه مهما كان الثمن.

فالاتصال الثقافي الحضاري بقي حبيس النظرية الاستعمارية فمازال الشرقي خاضع للقوى الاستعمارية الغربية،إن المستعمِر مزال يستغل الضعيف منه ليغطي احتياجاته وذلك في عجزه عن إيجاد مولد ليروج ويتمم نشاطه،كذلك أن المستعمَر مزال تابعا له ولا يستطيع التعبير خارجا عنه، ومزال مصدقا لما يقوله المستعمِر.

حاولت رواية قطرة ذهب تبيان أن كل من هو خارج نطاق جغرافية الغرب كيان منسي إلى حين انخراطه في جغرافيتها، لصبح فردًا ويتمتع بحياة وفق منظورها الغربي << فلا موقع للآخر في طريقة التفكير الغربي فغاية الكمال أن يكون الآخر غربيًا وأن تترتب بؤرته بمنظور غربي لا يراد أن يرى في موضوعه إلا ما يقصد أن يراه هو فعلا ويرغب فيه >>[1]، فالتقسيم الكوني ينحصر في مثالية الغرب وكماله فالأخر لا منزلة له إلا إذا كان ينتمي إلى الغرب ونقصد بالغرب الإمبراطوريات الاستعمارية سابقا والقطبيتين الرأسمالية والاشتراكية، فالغرب هو من يحدد الآخر ومن يصوره وهو من يجعل من الآخر همجي وبربري ومتخلف فانحصر الشرق في التصورات التي يطلقها ويروجها الغرب مادون ذلك مرفوض.

<<فقد اختزلت الشرق أن تكون صورة مركبة من ازدواج المخيلة والرعية حيث نظر لكل النتاجات والفنون والآداب من منظور مغاير للمرجعيات الثقافية التي تكونت فيها فتطمس ازدواجية الأمم الأخرى إذا تعارضت والرؤية الغربية فقد زود الأحاسيس الغربي بالتعصب اتجاه الشرق وصور الشرق بصورة تخالف حقيقته ولكنها تطابق ما يريده الغرب له فأضحى الشرق اخترعًا غربيًا لاتصاله بالصفة

[1]ينظر.عبد الله إبراهيم،الثقافات العربية والمرجعيات المستعارة ،دار الأمان ،الرباط ، ط1،2010،ص.183

الجوهرية للثقافة الغربية لأنها عنصر التفوق الثقافي والعرقي >>[1]، فالصورة المثالية للغرب في كونه متحضر ومتمدن وممول للحضارة جعلته يحمل لواء تحضير الأمم فاضحي الشرقي اختراعا غربيا ابتداء من الحركات الاستعمارية إلى التبعية الاقتصادية والثقافية فانبهار الشرق بالغرب جعلته يقوم بتقليده ليحصل على ختم الحضارة فكان من نتائج هذا الصراع الرجل الأبيض والإفريقي الأسود الغربي المحضر والشرقي المتخلف كل هذا من صنع الغربي المتسلط«حقا كانت هذه السيارة تفرض نفسها فهي قوية وبيضاء بسبب الأتربة ومغطاة بالخزانات والعجلات الاحتياطية والرافعات وطفايات الحريق وكابلات السحب والمعاول ولوحات التجديف وكان إدريس معجبا باعتباره خبير بالصحراء بهذه الحافلات للرحلات الطويلة التي تماثل من بعيد الجمل المبردع فالناس الذين يملكون هذه الأداة المرموقة لا يمكن أن يكونوا إلا أسيادا»[2]فالسيارة الغربية التي تضاهي الجمل الشرقي دلالة على اختلاف الفضاءين فامتلاك السيارة تمنح لمالكها السلطة والسيادة في نظر إدريس الذي منحها حق السيادة لامتلاكها احد مظاهر الحضارة وهو الجانب المادي والنقل فالسيارة تقابل الجمل الذي أضحى وسيلة نقل عتيقة .

إن الصراع الحضاري الشرقي والغربي قائم منذ الأزل فالحضارة الغربية قد رتبت الحضارات الأخرى والعالم حول منطقة مركزية في جوهرها فكل من ابتعد عن المدار المتصل هوى إلى الحضيض لأنه فقد الاتصال بمركز سلطة القوة.

إن رحلة الفرنسية للجزائر كانت لأجل إنعاش مركزيتها الغربية فبتهميشها واحتقارها للآخر تتغذى سلطتها «نحن والسيارة نمثل العالم الغريب نفسه فانا وأنت لسنا سوى انبعاثات للاندروفر»[3]

[1]ينظر .الثقافات العربية والمرجعيات المستعارة .ص.184

[2] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ،ص13

[3]المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

<<فعندما يدرس الآخر فهو يعيد إنتاج نفسه عبر إخضاع الآخر لمنهجيات العلوم الإنسانية التي تعتبر المحصلة التركيبية العليا والأخيرة لتلك الميتافيزيقيا الإنسانوية ذاتها التي تقود المشروع الثقافي الغربي>>[1] إن تسلط الأفكار الأوربية عن الشرق تبرز فكرة التفوق الأوربي على التخلف الشرقي لا يمكن تأسيس حوار حضاري بين الغرب والآخر فبفعل نزعة التفوق التمركز لذا فليس ثمة خيار غير إعادة إنتاج الآخر على رؤية الغرب وطبقا للمجهودات التي تنظم تلك الرؤية قصدت الغرب /الثقافة .

إن علاقة الشرق بالغرب علاقة عريقة ، فهذه العلاقات لم تبدأ من اليوم فهي علاقات قديمة،ونمطية علو الأنا الغربي على الآخر الغربي تولدت منذ زمن بعيد، وتلك العلاقة كانت موضوع اهتمام العالم حيث يعتبر "ميشيل تورنييه" الذي تحدث عن العداء الاستعماري الفرنسي للجزائر والصراع المتبادل بين الحضاريتين الغربية (الفرنسية)والشرقية(الجزائرية) في رواية (قطرة الذهب) ، <<وقد كانت بداية انفتاح هذه العلاقات بين الشرق والغرب واكتشاف الجانب الآخر عن طريق الرحلات التي تعد النواة الأولى لتلك الاكتشافات وتوطيد العلاقات المتبادلة بين الحضارتين وفتح التأثر والتأثير من خلال الاحتكاك المباشر أو غير المباشر >>[2] يتبين أن الاحتكاك بين الشرق والغرب كان بعيد الأمد ويتمثل في رواية قطرة الذهب من خلال زيارة فتاة الشقراء للصحراء والتقائها بالبطل، هذه الأخيرة متمثلة في الرواية عن طريق سيارة الفخمة (لاندروفر) :

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ،ص135

[2] سناء سليمان سعيد مصطفى التطور التاريخي للعلاقة الحضارية بين الشرق والغرب .مجلة البحوث والدراسات التاريخية .العدد3 جامعة المنيا مصر .ص.19.

<< وانطلق إدريس لاهثًا من الإثارة في اثر الحافلة الفارة نحو الشرق >>[1]، فحتى هذا التصوير يبين مادية الغرب الذي يرى في العربي (الروحاني) للهث وراء الحضارة الغربية التي تعلي من شأن الكلمة (المادة) وتحط من قيمة الشرقي ، وحتى على قاعدة غالب و مغلوب ورغم انتقاده الغرب من العرب في الجوانب الأخلاقية وبدل الأخذ عنهم على التأثر بهم .

«كان يهرول على الأرض البيضاء باتجاه شجرة السنط الكبيرة في حاسي اوريت وهو يتدفق بالمغامرة التي عاشها ويمني نفسه بالتفاخر بها عند إبراهيم ليتفاخر بالفعل؟ وبأي دليل داعم؟فقط إذا كانوا قد أعطوه صورته !لكن لا فصورته تسير في هذه الساعة نحو بني عباس محبوسة في علبة الة التصوير محصنة في اللاندروفر »[2] فلحاقه بالسيارة كان لتبيان أنه أول من يحصل على صورة فوتوغرافية في فضاء لم يسبق له ان عرفها من قبل ليتفاخر بذلك لكن دليل ذلك قد ذهب مهب الريح في سيارة فنتيجة جريه وراء السيارة لإثبات هويته وتحضره لصديقه

ونجد كذلك أن رواية (قطرة الذهب) قد تناولت العلاقة بين الشرق والغرب، وهما قطبين متجاورين جغرافيًا متباعدين فكريًا وحتى عقائديًا ، وتوظيف الكاتب للصحراء لم يأت عبثًا، بل نتيجة ما فرضته طبيعة الاستعمار الفرنسي على الجزائر وحتى من توظيفه للفتاة الشقراء التي تمثل الجمال والسيارة الفخمة رمز التقدم والرقي واندهاش إدريس منها، وهذا يظهر في رد المرافق للفرنسية : << لا تتوهمي الأشياء ، قال الرجل ساخرًا فهو ينظر للسيارة أكثر مما ينظر إليك >>.[3]

وهذا بطبيعته صراع نفسي عاشه"إدريس" ، حيث أن الكاتب صور موقف إدريس (البطل) من السيارة الفخمة ومن جمال الفتاة الشقراء التي تمثل الحضارة الغربية (

[1] ميشيل تورنييه ،قطرة ذهب ، ص.11.

[2] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ص 15

[3] المصدر نفسه ،ص،13.

فرنسا) تحديدًا،الذي يكشف تباعدا كبيرا بين الحضارتين وهذا الأخير فرضه التاريخ (الاحتلال)، وفي وقت كانت فيه الحياة تضطرب بالأفكار الجديدة كانت تتصادم اتجاهات مختلفة وهي الاختلاف في العادات والتقاليد وهذا الصراع الحضاري هو امتداد لصراع فرضته بعض القوى الاستعمارية على الشعوب المستعمرة(فرنسا والجزائر) والتي زرعت التقسيمات العرقية والقبائلية بين أفراد المجتمعات الجزائرية فكان الصراع الحضاري في الغرب محطة أنظار الشرقي الذي كان يصارع التمسك بالتراث وعادات وتقاليد أجداده

حيث تصور لنا الرواية <<طبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بين الحضارات كنمط من أنماط العلاقات الدولية التي تقوم على تبادل المصالح والتعايش>>[1]، فيمكن أن يكون هناك تعايش بين الحضارتين وتقبل الآخر كما هوا بعيدًا عن النظرة الدونية للعربي.

تبين لنا الرواية صورة العربي من منظور الأجنبي،ففي رواية قطرة الذهب بطبيعة الحال وما تبينه بطرحها لموضوع حضاري،من خلال<<إدريس بطل هذه الرواية كان يعيش في الصحراء ويبني حياته على نمط واحد لتفاجئ ذات يوم بعالم أخر (السيارة والمرأة الشقراء)>>[2]،

وحدث التقاط الصورة الذي يمثل الفتنة وهو أصل هذه المغامرة ، فهذه الصورة تمثل هوية البطل، والتي يبحث عنها على مدار محطات السرد، وما حدث (سرقة قلادة الذهب التي كان يرتديها في عنقه)إلا تمثيل لهويته المسلوبة، هنا يقصد الكاتب بطرحه فكرة الصورة وضياع أو سرقة القلادة من البطل "إدريس"بيان العديد من الأفكار الحضارية انطلاقا من البحث عن صورته واكتشاف هويته والقدرة على

[1] احمد عارف، معوقات الحوار بين الشرق والغرب ..استاذ العلوم السياسية المساعد جامعة البلقاء التطبيقية المملكة الاردنية الهاشمية .دفاتر السياحة والقانون العدد 13 .جوان 2015.

[2] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب، ص13.

التحدي، والعيش في عالم يختلف تمامًا عن الذي كان يعيش فيه،والتساؤل الذي بقي يراود إدريس حين يقوا :<<ماذا سيفعلون بهذه الصورة>>[1] .

إن المراد من إدريس هوا خوض تجربة لمعرفة نتيجتها، وإذا ما كان سيواصل البحث عن هويته أم سيتعايش مع الحضارة الغربية الأجنبية عنه ويكتسب هوية جديدة غير هويته، وكيف سيتعامل مع هذه الحضارة فإدريس شخصية منعزلة سيأخذ ثقافة الصورة.فهو نموذج لآخر مختلف تمامًا وما يتعرض له إدريس من مضايقات وعراقيل وما الذي سيفعله البطل الشرقي والدلالات المختلفة التي في تعبر عن حقيقة أن الصورة التي تمثل وعى إدريس بهويته.

تختلف نظرة الكاتب عن الأدباء الغربيين منهم وخاصة الرحالة ، فالكاتب في هذه الرواية يقصد أو يوحي إلى معنى تأثر المغاربة بالفكر الغربي (المستعمر) وقيم وأساليب عيشه فغرق الغربي في ماديته وفي صنوف السعي لكسب المادة والمال جعلته يسام من واقعه ويحاول البحث عن الشيء الجوهري الإنساني الذي يثمن الفرد وروحانيته.

2-2- صدام الهوية في قطرة ذهب :

موضوع الهوية من بين المواضيع التي اهتمت بها الرواية الحضارية؛ لما له من أهمية في تشكيل مقومات حضارة مجتمع ما، فالمتتبع لمسار التاريخ يستشف أن الصراع الحضاري قائم منذ الأزل بين ا(لغرب الأوربي المسيحي) و(الشرق العربي المسلم) منذ الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية، والوجود الاستعماري

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب، ص24.

الغربي وحركات التحرر،فالاحتكاك بين القطبين (شرق وغرب) ظاهرة محتومة لدوام مسيرة العلاقات الحياة.

كل هذه الأحداث ولدت تساؤلات كثيرة حول الهوية أفراد الشعوب التي كانت تحت هيمنة الاستعمار الأوربي الذي مسخ هوية شعوب تلك المستعمرات؛ بنشره لثقافته ونمط حياته وجعل إحلال لغته كلغة أم وتعليم أبنائها الأساسيات الغربية وخاصة الفرنسية ليرتقوا مصاف التمدن والتحضر بأسلافهم عن هويتهم،والانحلال في الهوية الغربية الأوربية،<<فقد ظل موضوع العلاقة المتوترة بالآخر الغربي على خلفية التجربة الاستعمارية أحد شوائب الرواية العربية منذ نشأتها >>[1]،فرؤية الغرب للشرق على أنه امتداد للإمبراطورية الاستعمارية حتى وان استقلت عنه لازالت متجذرة حتى في ما بعد الكولونيالية، ونحن نجد ميشيل تورنييه قد جسد تلك الفكرة وذلك من خلال **(الذات الفرنسية)** بمجيئها إلى الجزائر التي لا تراها سوى مستعمرة سابقة لإمبراطورية أجدادها.<<فتداعيات تجربة العنف الاستعماري التي تركت آثارها في النفوس وصار من المستحيل اختزالها إلى حروب واحتلال إنما علاقة مركبة تنطوي من التبعية والمحاكاة من جانب الكراهية والحقد >>[2].

وقبل الاسترسال في تتبع رحلة الشخصيات للبحث عن ذاتها، نقدم من خلال الجدول التالي وصفا لشخصيات الأنا ونظيرتها شخصيات الآخر محاولين من خلاله تحديد ملامح كل منها:

[1]. عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط.1، 2013،ج.2.ص. 143.

[2]المرجع نفسه، ص. 144.

اسم الشخصية	بلدها	سنها	ملامحها	مهنتها	مكانتها
الفتاة الشقراء	فرنسي	مفعمة بالحياة والنشاط	شقراء ذات شعر اصفر فائقة الجمال	سائحة غربية	مرموقة وغنية
عاشور	مغربي	شاب في مقتبل العمر	\	عامل في مقهى	مثقف ومهاجر
فليب	فرنسي	شاب في مقتبل العمر	وسيم	عامل حر	غني محب للترف واللهو
عبد الغفار	مغربي	\	حسن المظهر	\	مهاجر عالم بعلم الصور وتفكيكها
محمد المصري	مصري	طاعن في السن	\	فلاح مثقف	محب للخير
إدريس	الجزائر	15سنة	طويل وسيم ضخم البنية	راع أغنام	هامشي فقير

الجدول (1)

يظهر من خلال الجدول تباين في شخصيات الآخر من مصري وجزائري ومغربي وكلهم عاشوا تحت يد الاستعمار الفرنسي ومارس عليهم سلطته فكل الشخصيات العربية عاشت تجربة الهجرة لفرنسا بحثا عن الهوية والذات الضائعة

ومحاولتهم اكتشاف الحضارة الغربية فكلهم مثلوا ثقافة عربية إسلامية تعلي من شان الكلمة والذات وتحط من قيمة الصورة على مادية الآخر الغربي،والرواية تحاول الوقوف على ذلك الصراع الذي عاشته الشخصيات على تباينها، وباختلاف جنسياتها وانتماءاتها، فموضوع صدام الهوية يلح على مداره متنها، فيتبين لنا أن الشخصيات الفرنسية ذات جاه ومال وتمتاز بحب الحياة واللهو أما الشخصيات المغربية فتمتاز بإنسانيتها و زادها الثقافي المعرفي الذي لم يثمر في الأراضي الفرنسية ،الحال نفسه بالنسبة للشخصيات المغربية التي تتمتع بالمتن المعرفي وجمال المظهر ، أما الشخصية الجزائرية فهي مهمشة فقيرة ويمكننا إسقاط ذلك على فترة تعمير الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي حال بين تعليم وتطور أبناء الشعب الجزائري عكس الشعب المغربي والمصري اللذان لم يعايشوا الاستعمار الفرنسي لسنوات طوال.

من جانب آخر نجد المخلفات الجسيمة التي خلفها الاستعمار الفرنسي في نفوس الجزائريين،فقد جاءت حفيدة ذلك المستدمر لاستكمال مشوار أجدادها؛ لكن ليست بالسلاح والدم؛ بل بإقامة علاقة تعتمد على التبعية لها والمحاكاة هذا ما مر به بطل الرواية "إدريس" الذي أصبح رهين تلك الفرنسية وتابع لها ويحاكيها في أسلوب حياتها ونمط معيشتها.

فاختيار الفرنسية لمنطقة الصحراء في الجزائر كان عن وعي،وعن خلفية قبلية فالمجتمع الصحراوي بسيط في انشغالاته مكتف ومنشغل بجلب قوت يومه،وعميق في أصالته متمسك بهويته وبانتمائه وباحتكامه لعادات وتقاليد أجداده، فلطالما كان الإقليم الجنوبي الصحراوي مهد الرحالة وكعبة الروائيين الحاجين إليها شاربين من زمزم خيالها وعجائبيتها، ورواية (قطرة ذهب) تظهر لنا العلاقة بين الشرق والغرب وتكشف لنا خباياها وتفك الشفرات والفروقات الكامنة في تلك العلاقة التي

تجمعهما.فتنطلق العلاقة بين الغربية الفرنسية والشرقي الجزائري بحادثة التقاط الفرنسية الغربية لصورة " إدريس " التي تمثل انعكاسا لهويته وانتمائه، دون طلب الإذن منه أشعرته بتطفل ممارس عليه فكان رده عفويا وعنيفا في الوقت ذاته :

<< أعطيني الصورة

كانت هذه أول كلمات ينطق بها إدريس >>[1]

فالصورة من بين مقومات تشكل الهوية وهي تتباين بحسب الأفراد ، فالصورة عند الروائي هي تمثيل <<يعتمد على معلومات شبه ثابتة ذات طابع عام ومعقول لها شيء من الواقع الملموس>>[2]، بمعنى أن الصورة لدى هي مجموع التمثيلات التي يتصورها الروائي عن فرد أو جماعة، تتحكم فيها العوامل الثقافية والاجتماعية والتاريخية والسياسية بصيغة شعرية ، أما الصورة الفوتوغرافية فهي الصورة الضوئية أو الشمسية التي يحصل عليها من عملية التصوير الضوئي ، فالصورة التي التقطتها الفرنسية لإدريس أعطتاها الحق في ملكيتها لأن <<عندما تصور فإننا نستولى على الشيء المصور وهذا يعني أننا نصنع أنفسا في علاقة معينة مع العالم تشبه المعرفة وبالتالي السلطة>>[3]، فلقد استولت الفرنسية الغربية على صورة إدريس الشرقي، <<والتي تمثل له هويته وأبرمت اتفاق معه أن تعطيها له فور أن يلتحق بها>>[4]

لكن بعد فشل " إدريس " في الظفر بصورته قرر أن يخوض رحلة للبحث عن صورته واسترجاع هويته ليصبح بذلك تابعا لها وللفرنسية .

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب، ص.17.
[2] عبد المجيد حنون .صورة الفرنسية في الرواية المغربية .ص.82 .
[3] سوزان سونتاع حول الفوتوغراف.تر:عباس المفرجي دار المدى ط1،2013 ص.10.
[4] ميشيل تورنييه، قطرة ذهب، ص.12.

<<فبعد وصوله إلى فرنسا قررت الفرنسية الغربية أن تستغل إدريس وتستثمر من بنيته ومظهره الخارجي مقابل استرجاع صورته>>[1]

لقد مارست الفرنسية الشقراء السلطة الامبريالية الغربية على إدريس الشرقي لتستشعر الهيمنة عليه، لا لشيء سوى لتثبت ذاتها ووجودها فهي في متن الرواية بدون اسم الذي يعتبر المقوم الأساسي في بناء الهوية <<فكل إنسان يحمل اسمًا منذ ولادته سواء كان نبيلاً أو شقيًا فاسم الفرد يحقق انتمائه>>[2]، ويجسد هويته في المجتمع وانعدام وجود اسم للفتاة الشقراء فهذا يدل على نفي فرديتها في المجتمع،واستقلاليتها في قراراتها؛ فهي بدون هوية متجردة منها تحتمي بتاريخ أجدادها،فهي مجرد فكرة تريد أن تثبت وجود نفسها وهويتها من خلال "إدريس"؛ فهي تقوم بعملية خلقه من جديد على نحو (الأنا)؛ بحيث تترجم نقائصها في السلوكيات التي تريد إكسابها "إدريس".

لقد عملت الفرنسية الغربية على البحث عن ذاتها وهويتها من خلال هوية الشرقي "إدريس"،بعد أن استعسر البحث في بلدها وفي بيئتها التي تشبعت بأفكار وبأسلوب حياتها التي لم تهبها إياها، فراحت تبحث عنها في ذات الآخر الذي كان للأمس من أجزاء المستعمرَة بالنسبة لبلدها، فصَوَرَت"إدريس" واستنطقت نمط معيشته البسيط المتوارث عن من أجداده،والمتكيف مع طبيعته وبيئته وفضائه (الصحراء)،<<فكان تصور الغرب للشرق هو تصور ينتج فيه الغرب أرضا لهذا سيكون له حصته من النفي لذاته >>[3]،فالشرقي مرآة عاكسة للغربي لأنه شلاله الدائم في تصوراته فهو يعكس نقائصه في الذات الشرقية فبنفيه له ينفي ذاته المتشظية فاهتمامها بالشرقي ينسيها الاهتمام بذاتها.

---

[1] المصدر نفسه، ص.27،28.

[2] جويل كاندوتر، الذاكرة والهوية،تر.وجيه اسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2009 ،ص.85.

[3] خيري منصور، الاستشراق والوعي السالب ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.ص.30.

حاول "ميشيل تورنييه" أن يناقش قضية الهوية من خلال الانطلاق من المسلمات السائدة في الفترة الكولونيالية؛ التي تنص على أن أبناء المستعمرات همج وليس لهم وجود ووجودهم كامن في اعتراف الكلونيالي بهم، فالغربي يقرر من هو المواطن الإصلاحي الجيد من الشيء لأنه لا يملك وجودًا كافيًا إلا بفضل اعترافه به،فهو من خلقه وهو من علمه أن ينطق ويفكر ليكفيه مع روح الفترة ما بعد الكولونيالية الحضارية، مع الإبقاء على سيادة الآخر وإن كان ضمنيًا وعدم مساسه بأخلاقيات الآخر المزعومة .

إن من أبرز القضايا التي طرحتها رواية قطرة الذهب لـ ميشيل تورنييه موضوع الهوية والذي يعد من أبرز القضايا التي تعالجها الرواية، لما يسود طبيعة العلاقات بين الشرق الروحاني والغرب المادي ،فرواية قطرة الذهب تطرح قضية الهوية وهي هوية الشاب إدريس على أنه راعي أغنام في بيئة صحراوية ، فالكاتب هنا وظف الصحراء نتيجة للاحتلال الفرنسي على الجزائر ففرنسا قصدت صحراء الجزائر لاستغلال خيراتها ونزف ذهبها الأسود، وتوظيفه كذلك لـ السيارة الفخمة وآلة التصوير وجمال الفتاة الشقراء ليبدي به تطور الغرب على الشرق وأنه شرق التخلف والتبعية في مقابل الغربي المتطور وهذا ما نستشفه من المقطع السرد التالي :<<....عندما لمح في اهتزاز الأرض الساخنة خيال غليظا لسيارة لاندروفر منزلقا نحو غاية تمر هندي صغيرة>>[1]، فمرور السيارة الكبيرة على رمل الصحراء الحارة بمثابة الأمر الجديد المذهل الذي ترك تساؤلات عدة تحوم حول "إدريس" الذي لم يشهد مثل هذا الوافد من قبل ولا يعرفه حتى،فهو مازال يقضي حاجاته في التنقل على الدواب من الجمال وغيرها، فكيف لهذا الشيء الغريب المثير للغبار أن يعكر صفو أرضه ؟ ومن جاء؟ به ولماذا؟ وغيرها من التساؤلات الساذجة التي

[1] ميشيل تورنييه، قطرة ذهب، ص.12.

طرحها "إدريس"؛ فالغربي دائما وأبدًا يبدي تطوره وتقدمه في مختلف المجالات وجعلها (الحضارة الغربية) تتفوق على غيرها من الحضارات .

كما تطرح الرواية صورة عن الوازع الديني الذي يختلف تمامًا بين القطبين(الغرب وإدريس)، وكان الصراع على الهوية في رواية (قطرة الذهب)ممثلا من هذا الجانب من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيتين :

«بدلا من البقاء هنا لنذهب ونشرب كأسا في منزلي قرر ماج فجأة

واقتاد إدريس الذي كان يحتج

-لكني لا اشرب الكحول»[1] فالوازع الديني الإسلامي يمنع المسلم من الاقتراب واحتساء الكحول الذي هو مباح عن الآخر الغربي المسيحي فإدريس لم يتنازل عن مقوماته ومبادئه الإسلامية

(الفتاة الشقراء وإدريس) كونيهما يختلفان في عنصر الانتماء والدين وحتى في اللغة وطريقة التعامل ، ونتج عن هذا الصدام بين الأنا (الغربي) والآخر (الشرقي) رؤى مختلفة، تمثلت في ما يلي :

1- << الرؤية الانبهارية :وهي انبهار الشرقي بثقافة الغربي ، وتقدمه في شتى الميادين وهي نظرة تأملية لما وصل إليه الغربي والافتنان بما وصل إليه >>[2] نستنتج انبهار الشرقي بالحضارة الغربية وولعه بما توصل إليه الغربي من تقدم في جميع مجالات الحياة.

2- الرؤية الحضارية : <<معناه أن الغربي أو الشرقي في بداية القرن العشرين 20 انبهر وافتنني بحضارة الغربي افتنانًا وغواية حتى بدون رؤيتهم للغرب على أنهم

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ص 177

[2] حميد الصغير، الهوية وجدلية (الأنا والآخر)في رواية كتاب الأمير ،مسالك أبواب الحديد لواسيني الاعرج ،.ص.11.

رمز للحرية والتقدم والإشباع الغريزي <<[1]وسرعان ما استيقظ العربي (الشرقي) من سياسته بمعرفته لحقيقة الغربي المادي والمخالف له تمامًا عقائديا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا في مقابل روحانية الشرقي.

3- الرؤية السياسية والحقوقية : <<نتيجة مخلفات الاستعمار وما خلفه من طمس لحقوق الإنسان وحتى القضاء على معالم دينه >>[2]هذا ما تروج له الحضارة الغربية (باطنيًا) القضاء على مقومات الدين الإسلامي ،وفي ظاهر الأمر هي تروج للإنسانية باعتبارها ملجأ للاحتماء من جميع أنواع الاستبداد.

4- الرؤية العدوانية : <<دائما وأبدًا تفضي نظرة الغربي للشرقي نظرة دونية مسيئة لصورة الشرقي وهذا من أمد السنين نتيجة للاستعمار وتبعية الشرقي للغربي باعتباره رمز للتخلف ،وفي مقابل اعتبار الأنا (الغربي) رمز للتقدم والتطور>>[3]،وهذا ما تعكسه تمامًا رواية (قطرة الذهب) لكاتبها "ميشيل تورنييه"؛ الذي يرى في الشرقي"إدريس" على أنه شخصية منعزلة لا تفقه شيئا عن الحضارة الغربية (فرنسا)، وما توصلت إليه من تقدم في مجالات عديدة.

وفي الرواية تتجسد دائما وأبدا ثنائية مستعمِر ومستعمَر (إدريس ،الفتاة الشقراء) فشخصية الفتاة الشقراء تمثل التقدم والتطور من خلال ما وظفه الكاتب (السيارة الفخمة ،جمال الفتاة)، بينما شخصية إدريس نموذج لآخر مختلف تمامًا فهو يمثل ثقافة شرقية تعلي من شأن الكلمة وتحط من قيمة الصورة.

[1] حميد الصغير، الهوية وجدلية (الأنا والآخر)في رواية كتاب الأمير ،مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج ،ص،12.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] حميد الصغير، الهوية وجدلية (الأنا والآخر)في رواية كتاب الأمير ،مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج ص.13.

إن رواية (قطرة الذهب) تحيلنا إلى اللقاء الأول بين الحضارتين الشرقية والغربية (إدريس والفتاة الشقراء) والحوار الذي يدور بينهما لأول مرة ،رغم اختلاف اللغة هذه الأخيرة (اللغة) يصعب على إدريس فهمها ،<<واستعمال الفتاة الشقراء لآلة التصوير هذه تعد أكبر نقطة تحول في حياة إدريس >>[1]، ويمكن إرجاع هذا اللقاء إلى الصراع الحضاري مع الغرب ولا يمكن أن يكون لقاء مثاقفة ، حيث <<أصغى إدريس وجمع في رأسه بقايا اللغة الفرنسية التي يعرفها لفهم ما يقال >>[2]، إن الاختلاف من حيث اللغة التي تبقي عائقا لفهم ما تقوله الفتاة، وقد شكل موضوع اللقاء الحضاري مع الغرب المتفوق فالالتقاط الصورة، ورحيل إدريس للبحث عن صورته التي في الأصل هي هويته الضائعة ،فإدريس فتى في مقتبل عمره هل ينسلخ في الحضارة الغربية ينسى هويته أم يتأثر فقط ويحافظ على عادته وتقاليده الموروثة ، <<وإن المرء لا يعثر على هويته وإذا لم يستطيع أن يتشكل داخل ما يرويه>>[3]فعادات الأفراد وتقاليدهم تساهم بشكل كبير في الرسوخ في معالم حضارة ما يقتضي أن يكون لا ينسلخ في الحضارة غير حضارة بلاده ،فعلاقة الشرق بالغرب لا تخلو من المشافعة فلا بد أن تكون هذه قائمة على توظيف الحوار بين المرآة (الفتاة الشقراء والبطل إدريس)، وكذلك من خلال الرواية نجد مقارنة بين صحراء الجزائر ومدن باريس.

[1]، ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ،ص.12.

[2]المرجع نفسه.ص.13.

[3]ميشيل تورنييه،قطرة ذهب.ص.13.

تابلبالا	باريس
-الفقر -التازو اكلتهم الوطنية -الواحات والنخيل والرمال -الجمال وسيلة نقلهم	-الغنى -اللحم والسمك اكلهم الوطني -بنايات وعمارات ومراكز تجارية - السيارات والميترو وسائل نقلهم

الجدول (2)

من خلال الجدول تتضح الفروقات بين الفضاءين الصحراوي والباريسي فالفضاء الصحراوي يتميز بالحياة البدائية فلا يزال الجمل وسيلة نقلهم والخيم منازلهم والخضار أكلهم أما الفضاء الباريسي فالسيارات والميترو وسيلة نقلهم والبنايات منازلهم واللحوم والأسماك أكلهم فالفرق المعيشي والتقدم الحضاري جلي من خلال ملامح الحياة اليومية .

كما صور لنا الكاتب نظرة "إدريس" إلى تلك الفتاة هي نظرة جميلة تستهوي كل من ينظر إليها ، وينظر إليها نظرة تأملية ويصفها بأنها خارقة للعادة، حيث يقول :

«كانت هناك في ما مضى وهذه الملكة كانت تشع بجمال عظيم جعل الرجال لا يستطيعون رؤيتها بغير أن يقعوا في غرامها [..]فقد كانت الشقراء كالقمح النيئ »[1]

فالكاتب هنا، عمد إلى توظيف جمال الفتاة لأن الشرقي في نظرهم يذوب في الجمال،<<والشرقي بمثابة رجل تستهويه هذه الأنوثة الفاتنة >>[2]،فالغرب بصفة عامة

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ص265

[2]فرامرز ميزاي، بشرى جزائري ،راد وخليل پرويين، هادي نظري منظم، فصام الهوية بين أنوثة قاهرة ورجولة مقهورة :قراءة ما بعد كولونيالية في رواية "العطر الفرنسي" ألمير تاج السر،مجملة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، العدد السابع و العشرون، 2018، ص97.

والكاتب بصفة خاصة يرى في الرجل الغربي على أنه ينظر إلى الجمال الخارجي فقط، ولا يفقه شيئا عن الحضارة والتقدم،ولا يمكن للشرقي أن يصل إلى ما وصل إليه الغربي من التقدم والرقي.

فالصراع الأبدي بين الشرق والغرب هو عينة الصراع الأزلي الأبدي بين الرجولة والأنوثة،وإذا نظرنا عميقا في رؤية الكاتب وخاصة عندما رأى "إدريس" الفتاة لأول مرة وتأمل كثيرا في جمالها، وعندما ذهب إلى فرنسا وتحديد إلى باريس، كذلك نجد الكاتب يكثر من وصف محاسن (فرنسا) وحتى في العمل التي خلفها؟للبطل، نجده يحطُ من قيمة الرجل الشرقي كونه يعاني التخلف،

«الفرنسيون علق عاشور يجب بالطبع إلا تعتقد أنهم لا يحبوننا فهم يحبوننا غلى طريقتهم ولكن شريطة أن نظل في الأرض فيجب أن نكون متواضعين بؤساء فالفرنسيون لا يطيقون العربي الثري القادر كأمراء الخليج على سبيل المثال الذين يبيعون لهم بترولهم فهؤلاء يثيرون قرفهم !اجل فالعربي كما يرون عليه أن يظل فقيرا والفرنسيون خيرون مع فقراء العرب خصوصا الفرنسيون اليسار ويسعدهم تماما أن يشعروا أنهم خيرون»[1] فالفرنسي يحب ويرى الآخر الشرقي بطريقته وبحسب ما يمد في هيمنته عليه فيتلذذ بفقره لينفقه ويحس بنزعة لخير ويتنرجس على جهله بعلمه وتطوره ليبقى تابع له يستمد علمه ومأكله منه فالغربي ينظر بعينيه الدونية إلى الشرقي دائما وأبدًا، ونستنتج أن الغرب المادي يحد من قيمة الشرقي الروحاني بالتخلف والتبعية ، فالملاحظ في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييه في توظيفه للمرأة الشقراء ذات المحاسن والرجل إدريس وانبهاره بجمالها فهذه الدلالة على علاقة الشرق بالغرب ‘والمرأة الغربية هي التي تأتي إلى الشرق

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ،ص157

في مقابل وعي البطل، فهو ينظر إلى طبيعة العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصر الحديث.

إن حدث (التقاط الصورة) في الرواية يلعب دورا أساسيا وفعالا في إيقاظ الوعي لدى البطل ، فصورة إدريس الفوتوغرافية تمثل حافزا الرحلة وغايتها ، وتتسع دائرة الحكم السلبي حينا يتعرف في القطار على شاب فرنسي يطلعه على صورة عائلية ضمنها صديقته الفتاة الشقراء التي تلفت انتباهه وتثير شجونه ، هذا سيفضي إلى معيشة ستكون أبلغ من سابقتها ، حيث <<يتبين أن هذه الفتاة الشقراء وصورها رمز للحضارة الغربية المادية التي تفتن إنسانها وتخدعهم >>[1]، بينما يرمز البطل إدريس من الحضارة الشرقية (العربية الإسلامية) والذي يعيش في الصحراء إلى الروحية ، فرواية قطرة الذهب تمثل فكرة عن الآخر المختلف ،وحوارا بين ثقافتين مختلفتين، والصراع المتواصل بينهما منذ أمد العصور، ونزاعهما المتواصل عن الهيمنة على ضفاف المتوسط في الماضي، وهما الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية ، فالكاتب ذو النزعة الإنسانية يعي جيدًا حضارة وعادات وتقاليد الآخر والحوار الخلاف بينهما يكشف أن <<الحضارة العربية تملك قيما فكرية وأخلاقية وجمالية >>[2]، ويرى ميشال تورنييه بأنه يمكن أن تقوم علاقة بين الشرق والغرب هذا شريطة أن يكون هناك تقبل للأخر ،شرط أن يتواضع ويتعلم ثقافة الصحراء وهي جزء من هذه الحضارة (العربية الإسلامية)،وانبهار البطل بالتقنيات الحديثة السيارة الكاميرا وتقنية الصور المتصلة بها.

يبين الكاتب هنا أن الشرق هو شرق العبث الذي يجري وراء ما يخلفه الغربي.

---

[1] ينظر ،ثقافة الصحراء في مدينة الأنوار والصور. قراءة في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييه،مجلة ألف،عدد33،2013 ،ص.100.

[2] المرجع نفسه،ص101.

هذه النظرة الأولى التي طرحها الكاتب لكن أين الجانب الآخر حيث جعل البطل الشرقي الجاهل يتمكن من معرفة ذاته ويفقه مقومات هويته ولكن بعد أن خاض تجربة الاحتكاك بالآخر والانتقال إلى فضائه والصراع الذي عاشه وهو يعيش تجربة ضياع الذات (حادثة العمل ونموذج الدمية وإيجاد القلادة) ليستفيق من تلك الدوامة وهو واقف وسط ساحة باريس (الغرب) ويقوم بما يتوجب عليه لاسترداد قلادته والتي تعني عودته لذاته ومعرفته بمنبته وبأصله حيث اقتحم المتجر واستعاد القلادة

هذه أفكار لم يذكرها الكاتب عبثا وإنما يبين أن الشرقي مهما ضاع وتاه وسط إغراء ماديات الغرب ومغرياته يبقى متمسكا بمكتسباته الأصيلة ويعيده الحنين والشوق لحضارته التي مكنته من اكتساب معالم الشخصية والهوية الحقة التي تبنى على القيم الروحية لا المادية الزائفة

فمجابهة إدريس للحضارة الغربية مقابل استرجاع هويته وصورته وقلادته رغم الإهانات التي تعرض لها من ضرب وإهانة وتقلده لأعمال مهينة ككناس ورافع إثقال ولوازم المخرج والعمال السينمائيين جعلته يحن إلى الكرامة والإنسانية التي كان يتمتع بها في تابلبالا فبالرغم من الفقر والجهل الذي يعيشه فيها إلا انه يتمتع بقدر ومكانة وسط مجتمعه ويحي حياة كريمة فالغرب الحضاري رغم تطور وسائل معيشته وفكره إلا انه يفتقر إلى جوهر الفرد و إنسانيته فانبهار إدريس بالتقدم المالي لم يتمكن من إنسانيته وروحانيته فحنينه الى وطنه جعله يتحمل كل الأعباء ويقطع جميع مشقات المادية الفرنسية لنيل هويته المسلوبة

3-2: النموذج الحضاري في الرواية

تعتبر الهوية صفات وثوابت تميز أمة عن أخرى ،وتختلف حضارة الشرق والغرب من خلال ملامح تفوق الأنا المهيمن المادي (الغربي) على الآخر الضعيف والمستسلم لمقومات ومبادئ الحضارة الغربية التي يرى فيها الرقي والتطور، << وهذا ما يتجلى من خلال رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييه لأن بطل الرواية (إدريس) يبحث على معالم هويته من خلال الصورة التي التقطتها الفتاة الشقراء تبدو لنا معالم النموذج الحضاري في رواية قطرة الذهب من خلال ما يعكس استنباطه من ممارسات قام بها البطل وهو يأخذ مغامرة الرحيل للبحث عن الصورة التي تمثل جـــزء من ذاتـــه المفقودة (الهوية)>>[1]، وكذلك سرقة قطعة الذهب التي كانت في عنقه والتعرف على مهاجرين أمثاله والذين يمثلون (المساعدة) ، ومن بين هاته الشخصيات "محمد المصري" فلاح يعلمه الإنصات لأغاني أم كلثوم (ترتيل آيات القرآن)، وأيضًا "عبد الغفار " يعلمه الخط الذي يحول الحروف إلى علامات التي لها القدرة على تفكيك الصور وإبطال سحرها واكتشاف البطل علاقة هويته والقدرة على التحدي.

فالهوية يتم اكتسابها وتعديلها باستمرار فهي قابلة للتحول والتطور وثبات الهوية كما يرى الكاتب زكي نجيب محمود <<لا ينفع أن يكون في ركائز البناء أو يقام على هذه الركائز من مضمون حضاري >>[2].إذن، فالهوية تحتمل وجهين الأول يكون ثابت والأخر متغير ، فهناك بعض الثوابت الثقافية يصعب تغييرها ، فالهوية هي القدرة على تجاوز المألوف.

[1] ينظر ، مشيل تورنييه، قطرة الذهب ،ص.ص. 11،13.
[2] ينظر ، هنية جوادي ، السرد وتشكل الهوية ،قراءة في رواية البحث عن العظام، طاهر جاووت ،قسم اللغة العربية وأدابه.جامعة محمد خيثر ،بسكرة الجزائر ،ص،87.

أما التجربة التي عاشها الأنا مع الآخر هي تجربة إدريس مع الفتاة الشقراء ، والتقاط الصورة هو أصل المغامرة والذي يمثل الفتنة :

<< أعطيني الصورة >>[1]، كان أول ما نطق به إدريس هو البحث عن صورته لأن إدريس لا يفقه شيئًا عن ثقافة الصور هنا نلاحظ نموذج مختلف تمامًا ودائمًا تفوق الأنا الغربي على الآخر العربي من خلال التطور العلمي للغرب المتحضر على تخلف الأخر العربي .<< ترتبط فكرة الهوية بإحكام إلى فكرة الثقافة والهويات ، يمكن أن تشكل عبر ثقافات رئيسية والثقافات الفئوية التي ينتمي لها الأفراد أو التي يشاركون فيها والعديد من النظريات الهوية ترى العلاقة بين الثقافة والهويات ينظرون إلى الهوية باعتبارها نشأت بطريقة واضحة من الانخراط في ثقافات فئوية معينة >>[2] يمكن أن تكون هناك هويات مختلفة بين الأنا والآخر كما يمكن أن تتشابه في مواطن أخرى وهذا أن تنازل الغربي (الأنا) على ماديته وهذا ما تعكسه رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييه من خلال ما عرفته الرواية من عرض للتطور الذي ساد هذه الحضارة الغربية .

تظهر شخصية إدريس شخصية منعزلة لا تفقه شيئا عن ثقافة الصورة فإدريس يمثل ثقافة عربية إسلامية تعلي من شأن الكلمة وتحط من قيمة الصورة على ثقافة الأنا، (مضاهاة المخلوق للخالق) << والبطل إدريس نموذج لأخر مختلف تماما حيث شبه الرواية بنهاية القرن التاسع عشر للباشا أحمد المنيكلي بطل حديث عيسى بن هشام (مدينة أضواء وضوضاء)>>[3] ،وكثير الدلالات المختلفة التي

[1] بنظر ، مشيل تورنييه،رواية قطرة الذهب تر،نجوى حسن ،المركز القومي للترجمة،ط،1،2016،ص،14

[2] مازية حاج علي الهوية وسرد الآخر في روايات غسان الكنفاني،رسالة درجة دكتوراه في الأدب العربي ،تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، ،جامعة محمد خيثر بسكرة ،2016،2017.

[3] محمد الزهراني ثقافة الصحراء في مدينة الأنوار والصور ،قراءة في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييـــــه ، ، ص،07.

تنبهها البطل ،والرواية هي على حسب الراوي هي رحلة التعلم ، ماذا تعلم إدريس؟ وما الذي يريده الكاتب من رحلة متخيلة؟، الصورة في نظر الكاتب تمثل وعي البطل بهويته المجهولة وعدم إيجاد الصورة يمثل إحباط التقاءه بفيليب يمثل كذلك انتماءه إلى عالم الشقراوات ، وعاشور سبقه في تجربة هي الأخرى لا تختلف عن تجربته والمرأة الشقراء والكاميرا . <<وأنصت عاشور باهتمام ثم استنتج باختصار: ... فإن امرأتك الزينة بألتها الكوداك كانت فخًا ، فـــخا كبيـــرا >>[1]، هذه العبارات التي قالها عاشور ما بدت تواسيه وتشجعه أو يعزيه بها وقال له لا بد من المعاناة ، هذا ما يعكس ما تعرض له (إدريس) أثناء التقائه بالفتاة الشقراء وتحدثها معه ،وعدم فهمه لما كانت تقوله ،هذا يعكس التقاءه بمهاجرين أمثاله مما ساعده كثيرًا ،اللغة تلعب دورا رئيسيا في التعرف على ثقافة الأنا الغربية أو حضارة مجتمع ما ، فعنصر اللغة كذلك مقوم من مقومات الهوية مثلما حصل في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييه عندما سمع لغة الفتاة الشقراء حيث كان لا يفهم منها شيء ، إلا ما كن يسمعه من عبارات مألوفة لديه << فاللغة هي القانون الأول الذي يفرض نفسه على كل فرد >>[2]فمن خلالها يثبت الانتماء إلى هوية ما وثقافة مجتمع معين ، فهي تسمح (اللغة)وتساعد على معرفة خلفية الإنسان ومستواه الثقافي ،<<... من الظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة أن اللغة وسيلة من وسائل التصنيف الاجتماعي إلى طوائف أو قبائل أو غير ذلك... >>[3] فكل جماعة لها لغتها التي تميزها وتبرز خصوصيتها الثقافية .

[1] ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ،ص،159.

[2]مازية حاج علي الهوية وسرد الآخر في روايات غسان الكنفاني، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي ،تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، الطلبة ،جامعة محمد خيثر بسكرة ، 2016 - 2017 ،ص،41.

[3]المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

إن التفاوت بين وعي المهاجر السابق صاحب التجربة مثقفا والمهاجر الحالي وهذا الدرس يفضي إلى دلالات كثيرة وتأخذ إلى استنتاجات وهي ذات المفاهيم الواسعة الحرية والاستقلال بالذات في مقابل (المعاناة) صديق إدريس وجد له عمل في حي قطرة الذهب وبدأ يعمل كناسًا ، << لكن إدريس لا يحدثه قط عن قطرة الذهب لزبيدة التي ضاعت منه على البلاط المرسيلي>>[1] ، لحاجة في نفس إدريس لم يبدها له خوفا على ما سيحصل له والقلادة ، هذا الحي الذي تتواجد فيه الجالية المغاربية بكثرة ، << وذات مرة وإدريس يقوم بعمله البسيط على أتم وجه يمر المخرج الفرنسي المتخصص في الأفلام الدعائية وإذا به يعرض عليه العمل معه >>[2] ، وبذلك العمل البسيط الذي يقوم به إدريس ويمثل جزء هامشي في فلم قصير .إدريس لم يندهش بآلات التصوير ولا بصراخ المخرج بل اندهش من المبلغ الكبير الذي تلقاه ودعوته مجددًا ليمثل في فلم يتجاوب وبيئته الصحراوية وأخبار عاشور صديقه بكل ما حصل معه لاق منه تشجيعًا ، فالكسب (للمال) مكسب أي غريب في بلاد أجنبية

يبقى الصراع بين الشرقي والغربي قائما وتبقى كذلك معاناة الشرقي العربي في الغربي مثلما عاناه إدريس في فرنسا بالتحديد باريس والمضايقات التي تعرض لها أي العلاقة بينهما هي علاقة صدام حضارات وتبقى الصورة المشوهة عن الشرقي الدوني المتخلف .

وبطبيعة الحال فالثقافة الغربية (الفرنسية) تقتصي أن يكون كل عربي معدم وضعيف ، وإعطاءه دور فتى يقود جمله في الصحراء وكلاهما يعاني العطش والتعب وهذا كله مخطط له من أجل الإنقاص من قيمة كل عربي ، وتذكر إدريس

[1] ينظر ميشيل تورنييه،قطرة ذهب ،ص،159.
[2] المرجع نفسه ،ص160.

الكلام الذي قاله له فيليب الصحراء تشكل جزء من أحلام كل فرنسي حتى وإن لم يراها << الأمر بأخذ الجمل إلى المجزرة مثله في مقابل أن دور إدريس ثانوي نقد الذات ظاهريًا متحضرة ،دخوله مطعم ظنًا منه أنه مطعم مغربي فوجئ بأن صاحبه فرنسي كان يعيش في شمال الصحراء >>[1] حيث تمثل صورته البلاستيكية المجسمة ذروة الأزمة وبداية التحول وصدمة اكتشاف الصورة فالكاتب يعي ثقافة الآخر وأيضا الحوار الثقافي من خلال شخصية إدريس وغيرها وكل هذا انقضى إلى البحث في ثقافة الآخر.

إن طبيعة الصدام الحضاري القائم في رواية قطرة الذهب بين إدريس (البطل) صاحب الانتماء للحضارة الشرقية بسلوكياتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها ، في مقابل الحضارة الغربية التي تمثلها الفتاة الشقراء ذات العادات والتقاليد الغربية المتحضرة، ونتج عن هذا التصادم ردود أفعال سواء شرقية أو غربية وهذا ما تفرضه البيئة سواء الغربية أو الشرقية؛<< فالتفاوت الحضاري بين الشمال أو بين الشرق والغرب يجعل أي رحلة إلى الحواضر الأوربية مفهومة بجدلية التعلم والتعليم >>[2] سبب رحلة إدريس إلى فرنسا بحثًا عن الصورة التي تمثل هويته المسلوبة في نواحي فرنسا وبحثه عنها (الصورة) يمثل وعيه .ورحلة التعلم هذه تمثل نقلة جذرية ستأخذ إدريس الأمي من عالم الثقافة المحلية إلى عالم الرموز(الصورة)،فالغرب يمجد ويقدس الصورة والمظهر أما الشرقي فهو عبد للإنسانية التي بها يحي مهما بلغ من تقدم ورقي يظل يحتكم إلى

[1] محمد الزهراني مقال ثقافة الصحراء في مدينة الأنوار والصور ،قراءة في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييـــــه ، ، ص،07.

[2] محمد الزهراني،مقال ثقافة الصحراء في مدينة الأنوار والصور ،قراءة في رواية قطرة الذهب لميشيل تورنييـــــه ، ص، 93 .

جوهره الإنساني الذي يزيد من قيمته عكس المادية الفانية التي تتحكم فيها المصلحة المؤقتة .

وفي الأخير يمكننا رصد نتائج فصلنا في النقاط التالية:

- حاولت (قطرة ذهب) تبيان الصراع الحضاري بين الشرق الجزائري والغرب الفرنسي
- امتازت العلاقة بين الشرق والغرب بالتوتر المحتكم إلى فكر كولونيالي يقدس الثنائيات الضدية السيد والعبد المستعمِر والمستعمَر
- تعتبر قضية الهوية أهم الركائز في بناء الرؤية الحضارية وذلك من خلال صراع إدريس مع الفتاة الشقراء المتجردة من اسم يثبت هويتها
- بينت (قطرة ذهب) مادية الغرب وإنسانية الشرق من خلال إدريس الذي جابه الحضارة الغربية من اجل إثبات هويته وحضارته
- اختلاف الفضاءين الباريسي والتابلبالي شكلا خلفية للصراع الحضاري فالأول رمز الصورة والمادية والثاني رمز الانتماء و الإنسانية

خـــــــــاتـــمة

خلصنا بعد هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكننا إجمالها في النقاط التالية:

- الرؤية الحضارية قضية أساسية في الخطاب الروائي ما بعد الكولونيالية فهي مهمة في تشكيل صورة الذات الإنسانية والتاريخية
- صراع الشرق والغرب صراع قائم منذ الأزل بحيث ترتبط علاقتهما بمقومات تاريخية وسياسية قبلية
- صورة الأنا في منظور الآخر دائما ما تكون سلبية ودونية محتكمة للنزعة الاستعمارية الامبريالية وان تعدت إلى نظرة إيجابية فيكون ذلك ببلوغ كلاهما درجة كبيرة من الوعي والنضج الفكري
- التعايش الحضاري مفهوم أساسي في الخطاب الثقافي الروائي ما بعد الكولونيالي حيث عمل جل الروائيين على تخييل هذا التعايش ليبقى في الأخير حبر على ورق ورهان الفصول الروائية
- محنة الاستعمار لا تزال تطارد الشعوب المستعمَرة وان استقلت عنها وذلك لديمومة مصالحها في تلك المستعمرات (السياسية،الاقتصادية،الثقافية)
- تعتبر قضية الهوية من الأساسيات لدى البلدان المستعمَرة بسبب السياسات التي مارسها الاستعمار من طمس وتشويه وتزييف
- انقسم السرد الروائي الجزائري المتون بأنامل جزائرية وأخرى بأنامل أجنبية حيث نجد أن الأنا الأجنبي يكلف نفسه مهمة الكتابة عن الآخر الإفريقي (الجزائري)العاجز عن التعبير عن نفسه
- كان الاستعمار الفرنسي للجزائر مخلفات عديدة مادية ونفسية ونذكر من الأخير تقوقع المجتمع الجزائري حول نفسه مخافة أن يتعرض لأي اعتداء خارجي وكان همه الوحيد الحظي بحياة بسيطة وكسب قوة عيش هنيء

- من أساليب الاستعمار الجديد المعاصر الخداع والكذب وتأليف القوالب الجاهزة عن المستعمَرة ثم إعادة تدويرها إيهاما بأنها لصالحه
- حاول ميشيل تورنييه في إنتاجه السردي "قطرة ذهب" تبيان وكشق صورة المستعمِر المعاصر الذي يرى بان كل شيء من حقه وملكه كامتلاك الأجنبية لصورة إدريس
- يظهر لنا من خلال "قطرة ذهب "أن الغرب حينما يقرر دراسة الآخر فهو يقوم بدراسة نفسه بإسقاط كل ما يجوب فكره وخواطره فيه كما يُظهر في تلك الدراسة نقائصه ومكبوتات في الدراسة
- تظهر لنا "قطرة ذهب" أن العلاقة بين الشرق والغرب ليست علاقة بريئة وإنما علاقة من علاقات الهوى والسلطة والسيطرة وبدرجات متناقضة من الهيمنة المعقدة والمتشابكة لكن بأسلوب مستتر يتخلله بعض من الرقي الحضاري المتصنع
- ضياع الهوية وتشتتها لم يكن محصورا في الشعوب المستعمَرة حتى الشعوب المستعمِرة تعاني من شتات وتذبذب ذاتي وذلك حينما قرر ميشيل تورنييه أن يمنح إدريس اسما وهوية ومعالم روحية ومادية أما الفتاة الشقراء فاكتفى بوصف ذاتها وملامحها المادية مجردا إياها من هويتها واسمها

♦ تصنيف الشرق إلى روحي والغرب إلى مادي جسدته قطرة ذهب من خلال مبادئ ومقومات إدريس ومادية ومكانة الفتاة الأجنبية

♦ تختلف الرؤية الحضارية باختلاف الناظر (شرق\غرب)فالغرب يرى انه مهد ومنبع الحضارات وهو الرسول الوحيد لنشر تلك الحضارة وترقية الشعوب الأخرى

- انبهار الشرق بالحضارة الغربية أدخلته متاعه التقليد لينسلخ من ذاته وهويته ويضيعها ويدخل في تجربة متباينة عن حياته ومحيطه هذا ما حصل مع إدريس حينما ذهب لاسترجاع هويته ليضيع في عالم المادية والحضارة الغربية ويضيع هويته وهي قلادته قطرة ذهب التي تمثل جزءا من الصحراء
- رواية "قطرة ذهب" هي خلفية لصراع ذاتي حضاري بين الشرق والغرب والغرب وذاتها
- شغف الغرب بالكتابة عن الآخر الشرقي جعلته يهمل ذاته ويحاول تشكيل ضياعه من خلال العاجز عن الكتابة عن نفسه ومسلم بالأمر

الملحق

ملخص رواية قطرة ذهب لميشيل تورنييه:

رواية ميشيل تورنييه Michel Tournier(قطرة الذهب la goutte d'or) تسرد واحدة من تلك المغامرات التي تكشف أن ملحمة الترحل بين الفضاءين لا تزال حكايتها متصلة الحلقات .فالرواية قطرة ذهب تحكي حيات البطل إدريس الذي كان يمضي وفق النمط المعتاد للحياة العتيقة في مجتمعات الصحراء الكبرى فهو فتى بدوي بسيط يرعى غنمه ولا ينتظر شيئا أو أحدًا في بيئة عتيقة تتكرر فيها الظواهر والأدوار دون تغيير منذ ألاف السنين .

وفي إحدى الأيام تتوقف عنده سيارة لاندروفر تركبها سيدة شقراء ورجل أبيض من السياح الغربيين المفتونين بالطبيعة الرملية الصحراوية المفتوحة على كل حلم ووهم حين تنزل الشقراء وتلتقط له صورة ، من هنا تبدأ الفتنة التي تولد المغامرة .

"فـإدريس**"** لم يرى صورة له من قبل وبعد أن توضح له الشقراء حقيقة الأمر حتى يطلب منها صورته في الحال. بنبرة ساخرة تقول له أنها لابد أن تعود إلى باريس وهناك ستظهر الصورة ومن ثم سترسلها له على عنوانه .

وبعد انتظار طويل من قبل **"** إدريس **"** الراعي البريء دون جدوى قرر الرحيل بحثًا عن صورته التي أصبحت جزءًا من ذاته المفقودة .

خلال رحلة البحث يعاني إدريس الصدمة تلو الأخرى ، ويكاد يفقد عقله وروحه لأنه يمرُ بمحن لا يعرف لماذا تورط فيها وكيف يخرج منها .

ففي مرسيليا تغويه فتاة بائعة الهوى تشبه الشقراء التي صورته التي تقوم بسرقة قطعة الذهب التي كانت مربوطة حول عنقه تذكارًا وخرزًا ويصبح بعد هذا نافرًا من كل فتاة شقراء " كلهن سارقات صور وذهب "

تدور الأحداث المريرة على " إدريس " في باريس حيث يقوم بتمثيل دور في السنيما التي كانت مجهولـــة عنده، كان دوره راعٍ جمل في فــلم دعائي لمشروب غـــازي اسمــه " واحة النخيل " ولم يفرح بالأجر العالي الذي تقاضاه لأنه تعرض لاعتداء من عصابة وخلاص المخرج منه والجمل وتيهانه في شوارع باريس .

تبلغ معاناة " إدريس " ذروتها التي تصل به أن يصبح موديلًا بلاستيكيًا لشخص شمال إفريقي تعرض عليه ملابس متنوعة في محلات باريس كانت مصدر عذابه نتيجة الشعور بالتشتت والضياع بالرغم من معاناته من عجنه ساخنة وضعت على جسده ليبدو كدمية حقيقية.

تلت الأحداث وبدأت معها مرحلة جديدة تعرف فيها " إدريس " على مهاجرين مثله يساعدونه على اكتشاف ذاته وتحقيقها في أفق أسمى وأوسع .منهم الفلاح المصري أحمد الخياط في باريس يعلمه مهارة الإنصات لأغاني أم كلثوم معها يكتشف جمال الصوت حين يتغنى بالشعر كما ترتل آيات القرآن وأيضا المعلم عبد الغفار سيعلمه فن الخط الذي يحول الحروف إلى علامات جمالية مفتوحة على المعنى المطلق وبهذا يكتشف عراقة هويته في الزمن والمكان ويتحول إلى ذات فاعلة قادرة على مجابهة التحديات ومقاومة الاستلاب .

وفي المشهد الأخير من الرواية يستعد إدريس للعمل في مشروع بساحة "قندوم" الشهيرة وسط باريس يرى البطل إدريس قلادته المسروقة معلقة وراء واجهة زجاجية لإحدى المحلات المخصصة في بيع المجوهرات الإفريقية النادرة وكان قد تعلم

استعمال الحفار الهوائي للتو، فصار بإمكانه التصرف بالطريقة التي يريد متناسيًا تعليمات رؤسائه الفرنسيين راح يحفر تحت واجهة الدكان الى أن هدم البناء على ما فيه وكم كانت براءته وجرأته بادية وهو يهدم وينتهك قلب باريس الارستقراطي غير عابئ لصفرات الإنذار المتعالية وسيارات البوليس التي طوقت المكان وبهذا الفعل الجريء من إدريس الراعي الطيب المسالم تنتهي مغامرته.

التعريف بالروائي صاحب الرواية "قطرة الذهب "

- ميشيل تورنييه "Michel Tornier " (19 ديسمبر 1924/ 18 يناير 2016)

روائي ومؤلف قصص قصيرة ، دارس فرنسي من باريس يكتب عن قصص الخيال للكبار والصغار ، ملم بالفلسفة والقانون في جامعة السوربون باريس ، ولديه ولع بالتراث الألماني

يعتبر الأديب ميشيل تورنييه أسطورة في الأدب الفرنسي والأوربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، طرح مجلدًا باللغة الاسبانية يضم ثلاثًا من أهم روايته .

- حصل تورنييه على عدة جوائز من أبرزها الجائزة للأكاديمية الفرنسية في الروايات عام 1967 لروايته "جمعة أو حياة الفطرة "vendredi ou les limbesوأيضًا حصل على جائزة غونكور عم 1970 لرواية الغول

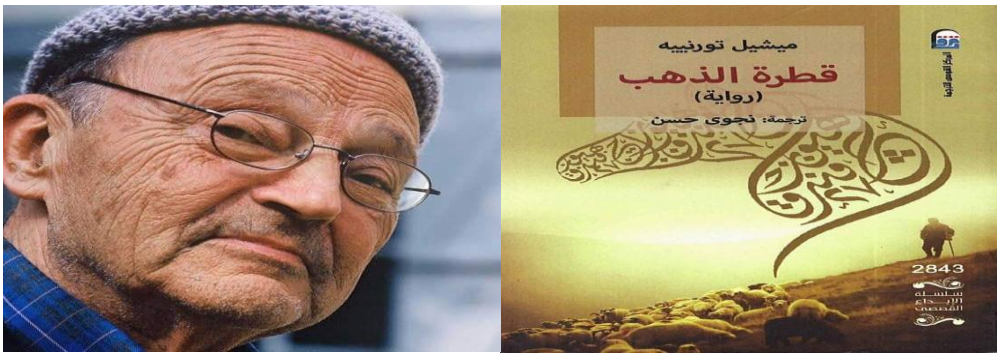
ترجم بعض مؤلفاته لما يقل عن 36 لغة.

من أهم مؤلفاته:

- جمعة أو حياة فطرة نشرة 1967.
- الغول 1970.
- جمعة أو الحياة المتوحشة 1971.
- الجوزاء أو التوأمان 1975
- المجوس الأربعة 1980
- حقل زنبق الوادي1982
- قطرة الذهب 1985

- توفي الروائي ميشيل تورنييه في 18 يناير 2016 ببلدية شوازيل في إقليم إفلين.

غلاف الرواية **الروائي ميشيل تورنييه**



- فهرس الجداول:

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
الجدول رقم(01)	ملامح شخصية الأنا والآخر	55
الجدول رقم(02)	مقارنة بين الفضاء الباريسي والصحراوي	62

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

ميشيل تورنييه،قطرة ذهب، تر.نجوى حسن ، المركز القومي للترجمة ،القاهرة،ط1،2016.

ثانيا : المراجع العربية :

1. ابن خلدون، المقدمة ، دار الأحياء والتراث العربي ،بيروت ، لبنان، ج،1.
2. أبـــو الأعلـــى المـــردودي،نحن والحضـــارة الغربيـــة، دار الشـــهاب للطباعـــة والنشر،باتنة،الجزائر،1988.
3. توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة،1938.
4. جـورج طرابيشـي، شـرق وغـرب رجولـة وأنوثـة دراسـة فـي أزمـة الجـنس والحضـارة فـي الرواية العربية ،دار الطليعة للطباعة والنشر .بيروت لبنان ، ط 1997.
5. خيري منصور، الاستشراق والوعي السالب ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
6. سـالم المعـوش ،صـورة الغـرب فـي الروايـة العربيـة ، مؤسسـة الرحـاب الحديثـة بيـروت لبنـان ،ط،1، 1998.
7. سـمير خليـل ، دليـل مصـطلحات الدراسـات الثقافيـة ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت، لبنـان ، 1971.
8. عبـد الله إبـراهيم، السـردية العربيـة الحديثـة، تفكيـك الخطـاب الاسـتعماري وإعـادة تفسـير النشـأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط.1، 2013،ج.2.
9. عبد الله إبراهيم،الثقافات العربية والمرجعيات المستعارة ،دار الأمان ،الرباط ، ط1،2010.
10. عبد المجيد حنون .صورة الفرنسية في الرواية المغربية.
11. فخـــري صـــالح،قبل نجيـــب محفـــوظ وبعـــده دراســـات فـــي الروايـــة ،منشـــورات الاختلاف،ط1،2010.
12. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر ، سوريا، ط،9.
13. مديحـــة عتيـــق ،فصـــول فـــي الأدب المقـــارن دراســـة ، دار مـــيم للنشـــر،الجزائر،ط،1، 2011.
14. نـــورة فـــرج ، ارتباكـــات الهويـــة ، أســـئلة الهويـــة والاستشـــراق فـــي الروايـــة العربيـــة الفرنكوفونية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ،ط،1،2007.

ثالثا : المراجع المترجمة :

15. إدوارد سعيد ،القلم والسيف ،تر.توفيق الأسدي،دار كنعان للدراسات و النشر، دمشق،ط1،1998.

16. ادوارد سعيد،الثقافة والامبريالية ، تر،كمال أبو ديب، مكتبة بغداد، دار الأدب ،ط4 ،2014.

17. ألبرت شفايترز : فلسفة الحضارة ،تر: عبد الرحمان بدوي ،زكي نجيب محمود،وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،مصر مارس 1963.

18. ب.مداسينغ ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط ، تر،معروف حزنة، دار النشر والفكر،موسكو ،1965.

19. تيري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر صورة الشرق في المخيال الغربي ،الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط ،تر.مي عبد الكريم محمود ،دار المدى للثقافة والنشر دمشق ،سورية ط،1،2006.

20. جويل كاندوتر، الذاكرة والهوية،تر.وجيه اسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2009

21. رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد،تر:صباح قباني طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق،ط3،1993.

22. سوزان سونتاع ،حول الفوتوغراف،تر:عباس المفرجي، دار المدى، ط1،2013.

23. صمويل هنتغتون ، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)،تر.مالك عبد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ،ليبيا.

24. كلودبيشوا.أندرية م ، روسو ،الأدب المقارن، تر. أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ، ط3،نوفمبر2001.

رابعا : المعاجم:

25. مجموعة مؤلفين ، معجم الوسيط،، مكتبة الشروق الدولية، 2005، ط4، مادة أحضَر

خامسا : الأطروحات والمذكرات :

26. مازيــة حــاج علــي الهويــة وســرد الآخــر فــي روايــات غســان الكنفاني،رســالة درجــة دكتــوراه فــي الأدب العربــي ،تخصــص أدب عربــي حــديث ومعاصــر، ،جامعــة محمــد خيثــر بسكرة ،2016،2017

27. هــاجر مبــاركي ، علــوم فــي الأدب العربــي. الهويــة بــين الأنــا والآخــر فــي أعمــال أمــين معلوف ،جامعة عبد الحميد بن باديس ، 2018/2017

سادسا: المجلات والدوريات :

28. احمــد عــارف، معوقــات الحــوار بــين الشــرق والغــرب ..اســتاذ العلــوم السياســية المســاعد جامعــة البلقــاء التطبيقيــة المملكــة الاردنيــة الهاشــمية .دفــاتر الســياحة والقــانون العــدد 13 .جــوان 2015

29. ثقافــة الصــحراء فــي مدينــة الأنــوار والصــور. قــراءة فــي روايــة قطــرة الــذهب لميشــيل تورنييه،مجلة ألف،عدد33،2013.

30. حميــد الصــغير، الهويــة وجدليــة (الأنــا والآخــر)فــي روايــة كتــاب الأميــر ،مســالك أبــواب الحديد لواسيني الاعرج،مجلة المفكر،العدد2،جامعة الجزائر2.

31. زهيــر محمــود عبيــدات ،الحواريــة فــي مقاربــات الزدانــي ،الأردن الجامعــة الهامشــية ،كلية الآداب،قسم اللغة العربية وآدابها .

32. ســناء ســليمان ســعيد مصــطفى التطــور التــاريخي للعلاقــة الحضــارية بــين الشــرق والغــرب .مجلة البحوث والدراسات التاريخية .العدد3 جامعة المنيا ،مصر.

33. فرامــرز ميــزاي، بشــرى جزائــري ،راد وخليــل پــرويين، هــادي نظــري مــنظم، فصــام الهويــة بــين أنوثــة قــاهرة ورجولــة مقهــورة :قــراءة مــا بعــد كولونياليــة فــي روايــة "العطــر الفرنســي" ألمير تاج السر،مجملة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، العدد السابع و العشرون، 2018.

34. فطيمــة بــن ربيعــي ،الشــرق و الغــرب فــي (عصــفور مــن الشــرق)لتوفيق الحكيم،جامعــة المدية.

35. فلــيح كــريم الركــابي ،الصــراع الحضــاري فــي روايــة (مــن يوميــات الســيد علــى ســعيد) ،كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد ، ع،47، 2006.

36. هنيـة جـوادي ، السـرد وتشـكل الهويـة ،قـراءة فـي روايـة البحـث عـن العظـام، طـاهر جاووت ،قسم اللغة العربية وأدابه.جامعة محمد خيثر ،بسكرة الجزائر

سابعا : المراجع الاكترونية :

37. محمـــد عبـــد الكـــريم يوسف،رســـائل قلـــب الظـــلام ،موقـــع http://www.almothaqaf.com

38. موقع مؤمنون بلا حدود،https://www.mominoun.com/auteur/469 .

39. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة،https://ar.wikipedia.org/ .

الفهرس

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
اهداء	
مقدمة	**أ – ج**
الفصل الأول	10 - 38
1- الرؤية الحضارية في الرواية	12-11
1-1 مفهوم الحضارة لغة	12
2-1 مفهوم الحضارة اصطلاحا	13
أ_عند المفكرين العرب	16-13
ب_عند المفكرين الغرب	18-16
2-الصراع الحضاري بين الشرق والغرب	25-18
3-قضايا الرواية الحضارية ونماذج عنها	26
1-3 الهوية	27-26
أ_ قضية الهوية في الأدب الشرقي	30-27
ب_ قضية الهوية في الأدب الغربي	32-30
2-3 الأنا والآخر	38-32
الفصل الثاني	68-40
1- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في رواية قطرة الذهب	40
1-2 الصراع الحضاري في قطرة الذهب	48-41
2-2 صدام الهوية في قطرة الذهب	61-49
2_3 النموذج الحضاري في الرواية	68-62
خاتمة	72-70
الملحق	73
ملخص الرواية	76-74
تعريف الروائي	77
قائمة المصادر والمراجع	84 -80
الفهرس	89